حقوق الإنسان السياسية والاجتماعية فى الإسلام

الكاتب الصحفى
على القماش

إهداء

إلى ابنتىّ الصغيرتين ياسمينا ورضوه.. الإسلام الحق مستقبل مشرق لمن تمسك به.. ولا علاقة له بمن يحاولون تشويهه..

▣ ▣ ▣

إلى الباحث بجامعة «ييل» الأمريكية والذى جاء إلى القاهرة لإجراء بحث واستطلاع عن حقوق الإنسان فى الإسلام..

لعلك تجد فى هذا «الكتاب» إجابة شافية بريئة عن أسئلة غير بريئة!

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

بداية نشير إلى أن موضوع البحث فى «نظرة الإسلام السياسة والاجتماعية وقدوة الرسول ﷺ لحقوق الإنسان» هو موضوع يشرف لأى إنسان أن يتناوله.. كما يشرف لكل من يأمل ويحلم بالتطبيق الأمثل لحقوق الإنسان أن يقتدى به.. فنظرة الرسول ﷺ لحقوق الإنسان هى أعم وأشمل وتتناول الجسد والروح.. الفكر والوجدان.. وكل دقائق وأوصال الإنسان وهو ما يصعب حصر فروعه.. بل شملت أيضاً الحيوان وكل المخلوقات.. ومن هنا فأننى أتناول البحث وكم أتمنى أن يكون قلمى لاتعوقه فكرة، وفكرتى لايعوقها أسلوب.

وأدعو الله أن يوفقنى فى الاستنارة بأكبر قدر من قبس نور النبى ﷺ الذى أضاء الكون كله.. فقد كان خلقه ﷺ كما سئلت عنه عائشة -رضى الله عنها- فقالت كان خلقه القرآن وجمع قمة الأخلاق المعصومة فوصفه سبحانه وتعالى بقوله «وإنك لعلى خلق عظيم».. وقد جعل الله الأنبياء والمرسلين قدوه لعباده وأمرنا بذلك فقال«أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده» وعن محمد ﷺ قال الله تعالى «ولكم فى رسول الله أسوة حسنة».

لقد كان مبعث الرسول ﷺ ايذاناً بالحضارة.. إذ كان نهاية عهد وبداية عهد.. فلم تكن رسالته حين بعث مجرد طقوس ولكنها كانت شعائر وشرائع.. أى إنسانيات وسياسات ونظما وسلوكا فى الحياة وطابع شخصيته.. فحيث توجد «أخلاق» توجد حضارة راشدة أى ضمير حضارى.. وحياته ﷺقبل الرسالة كانت هذا الضمير.. فقد كان ميلاده

ﷺ مولد أمة ودولة وحضارة وإن عظمته الحقيقة فيما جاء به من الشرائع والشعائر وبما طابق القول العمل من سيرته وشخصيته حتى خلق بالقدوة العالية أكثر من نقطة تحول على مستوى الفرد والجماعة جعلت من الإسلام ثورة إنسانية تتمثل فى النقلة الى حدثت لقومه، فقد أدى ﷺ رسالة ونشر دينا وكون من الشتات أمة وخلق من البدو حضارة طلعت شمسها على الغرب والشرق وهذه معجزة بذاتها، أليس غريبا أن يفجر نبى بدعوته كل هذه النظم والقوانين والعلوم الدينية والمدنية ليقف غير المسلمين إزاءها فى دهشة وانبهار.

وعندما نتحدث عن حقوق الإنسان لابد أن نتذكر قوله تعالى ووصفه للنبى ﷺ «وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين» صلى الله عليك ياصاحب الخلق العظيم أيها القائل «الرحماء يرحمهم الرحمن» والقائل «أرحموا من في الأرض يرحمكم من فى السماء».

وما كان اغنانا ونحن نتحدث ونبحث عن حقوق الإنسان إن نهتدى بقبس من نور محمد ﷺ وقدوته ورسالته والتى حين نزلت خاتمة الشرائع ومنهاجا للحياة إلى أن تقوم الساعة قررت فيها حقوق الإنسان السياسية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية فى اكمل صورة وأوسع نطاق، ووضع الناس جميعاً على قدم المساواة فى القيمة الإنسانية وأمام القانون والقضاء، ولم يقف الأمر عند التقرير النظرى لهذه المبادىء وإنما طبقها فى واقع الحياة وفى كل مجالاتهاوعلى كل من استظلوا بظل رسالته ودعوته ﷺ مهما كانت العقائد والأجناس كأروع ما يكون التطبيق.

وإن كانت البلاد قد أبتليت -للأسى والأسف- بتجاوز حكام أو سطوة أصحاب النفوذ فهضمت الحقوق وصودرت الحريات والكرامة وبددت الأموال



فانعدمت الثقة وانحدرت البلاد لأن مكانه الأمم من مكانة شعوبها.. ومكانة الشعوب بأعمالها وسلوكها القويم.

لقد كانت رسالة محمد ﷺ سلام فى الروح يتبدى صدقاً فى العمل ويتبدى ارتفاعا فى السلوك ففرضت وجودها -بعد أربعة عشر قرنا- بإبعادها وأعماقها وبما قدمه صاحبها ﷺ من قدوة ومثل..

ولأنه من الصعب حصر كل هذه الأبعاد والتى جاءت فى قدوة الرسول ﷺفإننا نحاول الإحاطة بأكبر قدر من الأسس والمبادىء التى قدمها الرسول ﷺ فى دعوته وقدوته.. -ولاسيما أن الصفحات مهما اتسعت فلن تكفى النماذج التى قدمها الرسول ﷺ ونموذجه ونظرته لحقوق الإنسان وهو أمر يحتاج إلى مجلدات.

وقبل أن نعرض للمبادىء التى أوضحها الإسلام وما قدمه الرسول ﷺ من نظرة لحقوق الإنسان.. لابد من الإشارة إلى أن الإسلام إذ يقدم إنسانه يعرض فكرة فى الإنسان لم تعرضها عقيدة سبقت ولامذهب يبتدع.. تلك الرسالة التى أرادها ربه لها وخلقه من أجلها «أنى جاعل فى الأرض خليفة»

ومن هنا كان علينا عرض النواحى والمبادىء التى تستقر معها حقوق الإنسان

١-تحقيق الأمن في العقيدة (حرية الإنسان في العقيدة)

يقول جل شأنه «لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى» فالعنف والقهر لايقران عقيدة.. والإسلام لم ينتشر بحد السيف -كما يزعم المغرضون- وقد كان الرسول ﷺ يقول لقواد جيشه وسراياه.. ومنها قوله ﷺ لعلى بن أبى طالب -كرم الله وجهه- عندما أعطاه الرايه فى غزوة خيبر: «أنزل إلى ساحتهم وادعهم للإسلام فإن لم يذعنوا لك فقاتلهم، فوالله لأن يهدى بك الله رجلا واحدا خير لك من حمر النعم»، وعن أبى موسى رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺإذا بعث أحدا من أصحابه فى بعض أمره قال «بشروا ولا تنفروا، ويسروا، ولا تعسروا» أى بشروا بسعة رحمة الله وعظيم ثوابه لمن آمن وعمل صالحا ولا تنفروا بذكر التخويف والوعيد، ويسروا ولا تشددو على الناس فإن هذا أدعى لمحبة الدين.

فلو كان انتشار الإسلام بحد السيف ما ارتفعت له رايات وأعلام فى سائر الأمم حتى يومنا هذا.

النهى عن الغلو فى الدين وتكفير الغير:

نهى الرسول ﷺ عن الغلو فى الدين وتكفير الغير.. وكان الرسول ﷺ يحكم بالإسلام والإيمان لكل من نطق بالشهادة.. عن أسامة بن زيد قال: بعثنا رسول لله ﷺ فى سرية فأدركت رجلاً فقال! لإله إلا الله فطعنته فوقع فى نفسى من ذلك فذكرته للنبى فقال: أقال لا إله إلا الله وقتلته؟.. قلت: يارسول الله إنما قالها خوفا من السلاح، فقال الرسول: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها معتقداً فيها أم لا، فكيف تضع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟

«كما نهى الرسول ﷺعن تكفير الغير وفيما رواه مسلم عن بن عمر قال رسول الله ﷺ «إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما» وهو دلالة على عظيم جرم الاتهام بالكفر

كما نهى الرسول ﷺعن الغلو فى الدين ويقول «إياكم والغلو فى الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو فى الدين» ومن الغلو فى الدين أشهار سيف التكفير فى وجه المختلفين.. والاهتمام بالفروع على حساب الأصول والاستغراق فى الجدل على حساب العمل والبناء..

أيضاً الإيمان عند الناس ليس سواء.. فهم يتفاضلون فيه قوة وضعفاً.. والمؤمن الطائع هو مؤمن قوى الإيمان، والمؤمن العاصى مؤمن ضعيف الإيمان أو ناقص الإيمان وفى الحديث «المؤمن القوى أحب إلى الله من المؤمن الضعيف» وهو ما يشير إلى أن الإيمان درجات.. ويبقى المؤمن مؤمنا حتى ولو ضعف إيمانه.. ويبقى المؤمن الضعيف معصوم الدم والمال والعرض ويبقى الحكم عليه لله وحده.

وأخيراً فإن هناك شروط فى القائم بتفسير النصوص وأدوات لابد له أن يعرفها وقد أشار العلماء إلى أنه لابد أن يعرف سبب نزول النص حيث لا ينفصل التفسير عن معرفة سبب النزول.. كما أن على المفسر أيضا أن يلم بالواقع المطلوب تنزيل الأحكام عليه حق المعرفة وعلى سبيل المثال فالذى يريد أن يفتى فى شئوون البنوك عليه أن يعرف أحكام القرآن وطرق المعاملات فى البنوك فى الوقت نفسه.

الردة

مهما تورط المسلم فى المأثم واقترب من جرائم فهو مسلم لايجوز اتهامه بالردة. روى البخارى أن رسول الله ﷺ قال: «من شهد أن لا إله إلا

الله واستقبل قبلتنا وصلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فهو مسلم له ما للمسلم وعليه ما على المسلم».

وقد حذر رسول الله ﷺ المسلمين من أن يقذف بعضهم بعض بالكفر لعظم خطر هذه الخيانة فقال فيما رواه مسلم عن ابن عمر «إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهم فما يكون المسلم مرتد».

إن المسلم لايعتبر خارجا عن الإسلام ولا يحكم عليه بالردة إلا إذا انشرح صدره بالكفر واطمأن قلبه ودخل فيه بالفعل لقوله الله تعالى «ولكن من شرح بالكفر صدراً» ويقول الرسول ﷺ. «إنما الأعمال بالنيات، إنما لكل إمرىء ما نوى» ولما كان مافى القلب غيب من الغيوب التى لايعلمها إلا الله كان لابد من صدور ما يدل على كفره دلالة قطعية لاتحتمل التأويل حتى نسب إلى الإمام مالك إنه قال «من صدر عنه ما يحتمل الكفر تسعة وتسعين وجهاً، ويحتمل الإيمان من وجه، حمل أمره على الإيمان».

ويختلف الفقهاء حول عقوبة المرتد في الدنيا: ويرى فريق فى تفسير عقوبة المرتد فى قوله تعالى «ومن يرتد منكم عن دينه، فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون».

ومعنى الآية: إن من يرجع عن الإسلام إلى الكفر ويستمر عليه حتى يموت وهو كافر بطل كل ما عمله من خير وحرم ثمرته فى الدنيا فلا يكون له ما للمسلمين من حقوق وحرم من نعيم الآخرة، وهو خالد فى العذاب الأليم وقد قرر الإسلام عقوبة معجله فى الدنيا للمرتد فضلاً عما توعده من عذاب ينتظره فى الآخرة وهذه العقوبة هى القتل.

روى البخارى ومسلم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «من يدل

دينه فقتلوه».

وروى عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان- وزنا بعد إحصان- وقتل نفس بغير نفس.

بينما يفسر بعض الفقهاء عقوبة الردة بأن مرجعها إلى الله فى الآخرة.. كما يرجعون عقوبة القتل الذى قدرها النبى ﷺ، بأن المرتد فى عهد النبى ﷺ، لم يكن يلزم بيته بل ينضم إلى أعداء الإسلام يقاتل معهم وهو مايعنى -فى تفسيرهم- إن الأمر بقتله على قتاله للمسلمين.. أى أن تضيف جريمته بما يعادل فى الوقت الحالى الخيانة العظمى.

ويبررون تفسير ذلك بما حدث فى حالة عبد الله بن سعد بن أبى سرح الذى كان أمن ثم ارتد وأخذ يؤلب قريشاً على النبى ﷺ فأهدر النبى ﷺ دمه فلما كان فتح مكه لاذ بعثمان بن عفان، وكان أخاه فى الرضاعة، فغيبة حتى اطمأن، والناس ثم أحضره إلى النبى ﷺ وطلب له الأمان فصمت الرسول ﷺ ثم أمنه فاسلم.

ويضيفون: إن المنافقين الذين ارتدوا عن الإسلام ولم يقاتلوا المسلمين لم يقتل أحداً منهم على نفاقهم.

قال جابر بن عبد العال لما قسم رسول الله ﷺ الغنائم بين الناس، قام رجل من بنى تميم: إعدل يا محمد، فقال الرسول: ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل لقد خبت وخسرت إن لم أعدل، فقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -: يا رسول الله ألا أقوم فأقتل هذا المنافق؟ فقال الرسول: معاذ الله إن تتسامع الأمم أن محمداً يقتل أصحابه (رواه أحمد).

أما رأس النفاق فى زمن الرسول ﷺ عبد الله بن أبى سلوم، والذى توعد المؤمنين قائلا: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل

(فالرسول وجماعته فى نظره هم الأذل، بل هو يتوعدهم بقتال يقصيهم عن مستقرهم فى المدينة)، فإن عمر ابن الخطاب إذ سمع قوله هذا أتى الرسول مستأذناً: يا رسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبى ﷺ ياعمر دعه لئلا يتحدث الناس أن محمد يقتل أصحابه.

ويفسرون قوله ﷺ: «التارك لدين المفارق للجماعة» بأنه فوق تركه لدينه مفارق للجماعة، أى مناصراً الآخرين (الأعداء) على أمته ووطنه وهو ما يستوجب عقوبة الخيانة العظمى أوحد الحرابة.

وأيا كانت الآراء حول عقوبته فى الدنيا فإنه لا أحد يؤيد أن يستباح دين الله لضعاف النفوس أن يجعلوه مطمعًا لتحقيق أغراضهم ثم ينفضوا منه بعد ذلك تاركين وراءهم البلبلة والتزعزع فى عقيدة الباقين.

درس من التاريخ

ماذا ينقل لنا التاريخ عندما ذهب عمر بن الخطاب إلى القدس.. لقد دخل الكنيسة وتجول فيها مع أسقفها ورهبانها ورأي الصلبان والصور على حوائطها ولم يفكر فى إزالة أى منها.. وعندما حان موعد الصلاة عرض عليه أسقف الكنيسة أن يصلى فيها.. فاعتذر عمر رضى الله عنه برفق قائلا: أخشى أن يأتى مسلمون من بعدى فيقولون لقد صلى فيها عمر فيصلون بها ويمنعون النصارى من التعبد فيها..

ماذا يعنى هذا الدرس يامن تتحدثون عن وباء الفتنة الطائفية؟! ومن بعد عمر جاء صلاح الدين ليسترد القدس من الصليبيين، فماذا تعلمتم يا من فرطتم فى القدس؟

وعندما حاصر البطل المسلم محمد الفاتح فيينا رفض تدميرها رغم أنه كان يملك المدافع التى تمكنه من تدميرها وتحقيق انتصار سريع وحاسم.. ولكنه فضل محاصرة المدينة والانتظار حتى لا يقال إن المسلمين يدمرون حضارات الغير..

فممن تعلم صلاح الدين وممن تعلم محمد الفاتح؟! من عمر بن الخطاب.. وممن تعلم عمر بن الخطاب الذى قال مندفعا يوم صلح الحديبية وعندما وافق الرسول صلى الله عليه وسلم : على أن من يأتى منهم إلى الإسلام لا يأخذه ومن يترك الإسلام إلى الكفر فليتركه وشأنه، قال عمر: لم نرض بالدنية يا رسول الله؟!.. ولم يكن يتعمق بعد فهم أن من يدخل الإسلام فلا راد له أبدا ومن لا يتمسك بدينه فمن الأولى أن يذهب.. ولن يذهب أحد ممن معه لأنهم يتشربون الإسلام بكل خفقات قلوبهم وجوارحهم.. فأين نحن من

عقيدتنا ومن تاريخنا الذى يحتوى على أروع الأمثلة فى كافة المجالات؟!!

كفالة الحرية الدنيية لغير المسلمين:

لأهل الذمة على المسلمين حفظ أرواحهم وأموالهم وأعراضهم وعدم إيذائهم ماوفوا بعهدهم لقوله ﷺ «من أذى ذميا فأنا خصمه يوم القيامة.

ولهذا قرر الإسلام المساواة بين الذميين والمسلمين، فلهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم، وكفل لهم حريتهم الدينية فيما يأتى:

أولاً: عدم إكراه أحد منهم على ترك دينه أو إكراهه على عقيدة معينة.

ثانيا: من حق أهل الكتاب أن يمارسوا شعائر دينهم؛ فلا تهدم لهم كنيسة ولا يكسر لهم صليب.

يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه: «اتركوهم وما يدينون»

بل من حق زوجة المسلم «اليهودية والنصرانية» أن تذهب إلى الكنيسة أو إلى المعبد، ولا حق لزوجها فى منعها من ذلك .ثالثا: أباح لهم الإسلام ما أباحه لهم دينهم من الطعام وغيره، فلا يقتل لهم خنزير، ولا تراق لهم خمر ما دام ذلك جائزا عندهم، وهو بهذا وسع عليهم أكثر من توسعته على المسلمين الذين حرم عليهم الخمر والخنزير.

رابعاً: لهم الحرية فى قضايا الزواج، والطلاق، والثقة، ولهم أن يتصرفوا كما يشاؤن فيها، دون أن توضع لهم قيود أو حدود.

خامساً: حمى الإسلام كرامتهم، وصان حقوقهم، وجعل لهم الحرية فى الجدل والمناقشة فى حدود العقل والمنطق، مع التزام الأدب والبعد عن الخشونة والعنف.

سادساً: سوى بينهم وبين المسلمين فى العقوبات، فى رأى بعض

المذاهب. وفى الميراث سوى فى الحرمان بين الذمى والمسلم، فلا يرث الذمى قريبه المسلم، ولا يرث المسلم قريبه الذمى.

سابعاً: أحل الإسلام طعامهم، والأكل من ذبائحهم، والتزوج بنسائهم.

ثامناً: أباح الإسلام زيارتهم وعيادة مرضاهم، وتقديم الهدايا لهم، ومبادلتهم البيع والشراء ونحو ذلك من المعاملات، فمن الثابت أن الرسول ﷺ مات ودرعه مرهونة عند يهودى فى دين له عليه، وكان بعض الصحابة إذا ذبح شاة يقول لخادمه : ابدأ بجارنا اليهودى

هذا هو الأصل فى علاقة المسلمين بغيرهم، ولا تتبدل هذه العلاقة إلا إذا عمل غير المسلمين -من جانبهم- على تقويض هذه العلاقة وتمزيقها بعداوتهم للمسلمين، وإعلانهم الحرب عليهم. فتكون المقاطعة أمراً دينياً وواجباً إسلامياً، فضلاً عن أنها عمل سياسى عادل، فهى معاملة بالمثل.

وإذا كانت مقتضيات علاقة المسلمين بغيرهم تبادل المصالح، واطراد المنافع، وتقوية الصلات الإنسانية تطبيقاً لقوله تعالى «لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم أن الله يحب المقسطين».

فإن هذا المعنى لايدخل فى نطاق النهى عن موالاه الكافرين إذا أن النهى عن موالات الكافرين يقصد به النهى عن محالفتهم ومناصرتهم ضد المسلمين كما يقصد به النهى عن الرضى بما فيه من كفر، إذا أن مناصرة الكافرين على المسلمين فيه ضرر بالغ بالكيان الإسلامى، وإضعاف لقوة الجماعة المؤمنة، كما أن الرضى بالكفر، كفر يحظره الإسلام ويمنعه.

أما الموالاة بمعنيالمسالة، والمعاشرة الجميلة، والمعاملة بالحسنى، وتبادل المصال، والتعاون على البر والتقوى، فهذا مما دعا إليه الإسلام..

وأخيراً نشير إلى تزوج الرسول ﷺ من السيدة مارية القبطية ويقول ﷺ «استوصوا بأهل مصر خيراً فإن لهم نسباً وصهراً».

الوفاء بالعهد للعدو ولرسول العدو أن لايقتلوا

– ثبت أنه ﷺ قال لرسولي مسيلمة لما قال نقول أنه رسول الله «لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكما».

– ثبت عنه أنه قال لأبي رافع وقد أرسلته قريش إليه وأراد أن لايرجع فقال «إني لا اخيس بالعهد ولا أحبس البرد ولكن ارجع إلى قومك ولم يرد النساء فإن كان في نفسك الذى فيها الآن فارجع».

وقال ﷺ «من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلّن عقداً ولايشدنه حتى يمضى أمدة، أو ينبذه إليهم على السواء». وقال «من أمن رجلا على نفسه فأنا برىء من القاتل».

كما راعى الرسول ﷺ حقوق الأعداء فقد ضمن لبنى جزيمة ما اتلفه خالد وانكره وتبرأ منه».

وأما سيرته فى المنافقين فأمره أن يقبل علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله وأن يجاهدهم بالحجة ويعرض عنهم ويغلظ عليهم ويبلغ بالقول البليغ إلى نفوسهم ونهى أن يصلى عليهم..

الصلح

أجاز الإسلام التصالح مع الأعداء خاصة مع وجود فوائد –للصلح وقد صالح النبى ﷺ أهل مكه صلح الحديبية.

ورغم حث الإسلام على الجهاد ألا أنه كان يجنح إلى حقن الدماء ومراعاة الحقوق ومنها: أمر الرسول بدعوة الكفار إلى الإسلام أو الاستسلام لدفع الجزية إذا بعث أميراً على سريه قال «إذا لقيت عدوك من

المشركين فأدعهم إلى إحدى ثلاث خصال فأيتها أجابوك إليها فاقبل منهم وكف عنهم فإن أبوا فأدعهم إلى إعطاء الجزية. فإن أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم.

الهدنة

أجاز الإسلام عقد الهدنة مع المحاربين وقد هادن ﷺ فى حروبه كثيراً من المحاربين ومن ذلك مهادنتة ليهود المدينة عند نزوله بها حتى نقضوها وغدورا به ﷺ فقاتلهم وأجلاهم عنها.

وفى غزوة الحديبية هادن الرسول ﷺ مشركى مكه ووادعهم عشر سنين وكان ذلك حقناً للدماء ورغبة فى السلم.

المعاهدة

أجاز الإسلام عقد معاهدة بين المسلمين وأعدائهم وقد عقد الرسول ﷺ المعاهدات وكان يقول: نفى الله بعهدهم ونستعين الله عليهم.

وحرم الرسول قتل المعاهد وقال: «من قتل معاهد لم يرح رائحة الجنة»، وقال «أنى لا اخيس بالعهد ولا احبس البرد».

الرحمة في الحرب:-

نهى الرسول ﷺ عن قتل النساء والأطفال والشيوخ والرهبان: لقوله ﷺ لأمرائه انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ولاتقتلوا شيخاً فانيا ولا طفلاً ولاصغيراً ولا امرأة ولاتغلوا وضموا غنائمكم واصلحوا واحسنوا إن الله يحب المحسنين.

نهى الرسول ﷺ عن الغدر بمن اجارة مسلما وأمنة على حياته لقوله ﷺ «إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فقال هذا غدره فلان ابن فلان».

نهى الرسول عن عدم المثلى بالقتلى لقول عمران كان رسول الله ﷺ «يحثنا على الصدق وينهانا عن المثلى».

وهذه هند بنت عتبة زوجة أبو سفيان تنطلق مع النسوة إلى جثث المسلمين فيجذعن الأذان والأنوف ويجعلن منها قلائد وأقراطاً ويبترن الأصابع ويعطونها للأطفال يلعبون بها بل إن هند هذه بقرت بطن حمزة بن عبد المطلب عم النبى الكريم ﷺ وجذبت بين يديها كبده وجعلت تلوكها بأسنانها فلا تستطيع أن تسيغها حتى أن سيدنا رسول الله ﷺ عندما رأى عمه وقد بقر بطنه وانتزعت كبده ومثل به حزن شديدا وقال لن أصاب بمثلك أبدا ما وقفت موقفا قط اغيظ إلىّ من هذا.

هكذا فعل الكفار المشركون بكل من قتلوا من المسلمين ولم يقابل المسلمون قتلى الكفار بالمثل بل إن الرسول ﷺ أرسى قاعدة تحاول الدول المتحضرة والمتمدنة حاليا أن توصى بها وتعمل مثلها إلا وهى احترام جثث القتلى فعندما قتل المسلمون أحد ائمة الكفر ممن شاع عنهم كثرة إذاة للمسلمين وتمثيله بجثث القتلى من المؤمنين رغب المسلمون فى ضربه ميتا والتشفى منه بعد قتله فنهاهم الرسول الكريم ﷺ وصرفهم عن ذلك وقال «لا أمثل به فيمثل الله بى وإن كنت نبيا».

معاملة الرسول للأسرى

كان الرسول ﷺ يمن على بعضهم ويفادى بعضهم بالمال وبعضهم بأسرى المسلمين وذكر أحمد عن ابن عباس -رضى الله عنه- أن بعضهم لم يكن له مال فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة فدل هذا على جواز الفداء بالعمل ومن رحمته أنه كان يمنع التفريق فى السبى بن الوالدة وولدها.

وإن كان من لايدينون بالإسلام داخلين فى سلطانه وذمته بأن اعطاهم الإسلام ذمته وعهده أن يحميهم ويدفع عنهم كل اعتداء وأن يكفل لهم حرمة أروحهم وأموالهم وعقائدهم ومعابدهم، وأن يضمن لهم حرية النشاط الاجتماعى والاقتصادى والفكرى فى الحدود التى لاتضر مجتمع الإسلام ولاتتعارض مع قيمه الأخلاقية ومثله المقررة. يعطيهم الإسلام كل هذه الحقوق فى مقابل ضريبة يقدمونها للحكومة الإسلامية تسمى الجزية. ولم يكن الإسلام- فى الزامهم الجزية مستغلاً- كما يحلو لبعض الجاهلين بالإسلام أن يصفوا الجزية. لأنه فرّض على من يجاور هذا الذمى من المسلمين ضريبتين لاضريبة واحدة لحماية الدولة ولصيانة المجتمع فقد فرض على كل مسلم -رجلا كان أو امرأة كبيراً أو صغيراً أن يقدم زكاة ما يملك، كما أنه فرض الجهاد على كل قادر من المسلمين لحماية المجتمع، دفع الظلم عن الناس أجمعين ومنهم الذميون.

وهاتان الضريبتان -الزكاة والجهاد- لم يكلف الإسلام الذميين بها لأنهما إلى جانب كونهما ضريبتين فهما عبادتان من عبادات الإسلام، والإسلام -كما هو شأنه- لايكره غير المسلمين على عبادته.

ومن هنا فاننا نميل إلى أقوال الفقهاء فى تعليل الجزية بعدم اشتراك غير المسلمين فى الدفاع عن دار الإسلام، ولذلك اسقطها الصحابة والتابعون عمن قبل منهم الاشتراك فى الدفاع عنها.. ومن هنا فإن غير المسلمين من المواطنين الذين يؤدون واجب الجندية لا تجب الجزية عليهم..

وأيضا صالح المسلمون أهل النوبة (وكانوا مسيحيين على عهد الصحابى عبد الله بن أبى السرح على غير جزية بل على هدايا تتبادل بين

الفريقين كل عام.. وكان عمر بن الخطاب لايأخذها من غير القادر.

٢- تحقيق الأمن للنفس:

تحقيق الأمن للنفس: قدم المنهج الإسلامى أعظم علاج للنفس البشرية من كل المخاطر التى تعترض طريقها.. وتطرق إلى علاج الخوف بكل أنواعه.. فعالج الخوف من الموت بأن تتيقن النفس بأنها سوف ترد إلى خالقها وعليها أن تندفع آمنه مطمئنة فى خضم الحياة ترسى دعائم وتحقيق رسالة الحق والعدل والخير لتنال ثوابها يقول تعالى: «الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا»، ورغم توضح الإسلام لمفهوم الموت إلا أنه حماها من التهلكة وقدم النفس كأمانة يجب للإنسان أن يحافظ عليها ويجب على المجتمع أن يصونها، ومن أجل ذلك حرم الإسلام القتل فى غير قصاص تحريما قاطعا حتى عادل قتل نفس واحدة بقتل الناس جميعا، يقول تعالى: «من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا». وعالج المنهج الإسلامى الخوف من فوات الرزق ومن بديهات العقيدة الإسلامية أن الرزق بيد الله «له مقاليد السماوات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر». «وفى السماء رزقكم وما توعدون».

والمؤمن على يقين بإمكانية تفاوت هذا الرزق «والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق».. وحث على أن لا يشغل السعي لطلب الرزق عن إقامة دعائم الحق «ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب» ولا ننسى أن الإسلام حث على اتقان العمل «وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون».

أما الخوف من المخاطر والصعاب فعند لقاء العدو وما قد يصاحبه من

مشقة يثبت الله الذين أمنوا «ولا تهنوا فى ابتغاء القوم أن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما». ويعالج الإسلام اليأس بالثقة فى الله «ولا تيأسوا من روح الله ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرين» وعلى المسلم أن يسعى لتذليل كل ما يقابله من صعاب يقول الرسول ﷺ: «إن الله لم يخلق داء إلا وجعل له دواء» وعلينا الأخذ بالأسباب فإن عجزت الأسباب. لجأنا إلى خالق الأسباب ومن بيده الحكمة والرحمة وعالج الإسلام مساوى الأخلاق والدعوة إلى مكارمها «لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة» ويقول ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، ويرسم ﷺطريقة الهداية ويقول: «الإيمان هو ما وقر فى القلب وصدقه العمل»، وقد أرسى الإسلام قواعد لتهذيب النفوس، ومنها:

١- الوفاء بالعهود: قال الرسولﷺ :«لا دين لمن لا عهد له ولا إيمان لمن لا أمانة له».

٢- رعاية الحقوق: «كل المسلم على المسلم حرام دمعه وماله وعرضه» وقال من فزع مؤمنا فليس منا

٣- محاربة النفاق: يقول الله تعالى: «وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم».

٤- تطهير ضمائر المجتمع: يقول تعالى: «يا أيها الذين أمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن. ولا تلمزوا أنفسكم. ولا تنابزو بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فؤلئك هم الظالمون».

«يأيها الذين أمنو اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن اثم، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه

ميتا فكرهتموه، واتقوا الله إن الله تواب رحيم».

٥- ضبط النفس وسماحة القلب: يقول تعالى: «والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين».

٦- تجنيد النفس فى وجه ذاتها: يقول تعالى: «يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين».

٧- علاقات المودة والقربى: يقول الرسول ﷺ: ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويعطف على صغيرنا ويقول ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه كما يحب لنفسه»

إقامة الحدود

يتهم الأعداء الإسلام فى قسوة الحدود ويستشهدون على ذلك برجم الزانى أو جلده وقطع يد السارق.. وعقوبات الإعدام.. إلخ. بينما كان الإسلام ورسوله أحرص على كرامة الإنسان من أصحاب الافتراءات..فماذا عن نظرة الرسول ﷺ لتلك الحدود..؟

خطب رسول الله فى حجة الوداع فقال: «أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، فى شهركم هذا، فى بلدكم هذا. ألا هل بلغت، اللهم فاشهد، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله، وعرضه». ويقول ﷺ «المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم»..

وأول هذه الحقوق وأولاها بالعناية حق الحياة، وهو حق مقدس لايحل انتهاك حرمته ولا استباحة حماه.

يقول الرسول ﷺ «ليس من نفس تقتل ظلما إلا كان على ابن آدم كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل».

ورسول الله ﷺ يقول: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير

حق».

ذلك أن القتل هدم لبناء إرادة الله، وسلب الحياة المجنى عليه، واعتداء على عصبيته الذين يعتزون بوجوده، وينتفعون به، ويحرمون بفقده العون، ويستوى فى التحريم قتل المسلم والذمى وقاتل نفسه.

ففى قتل الذمى جاءت الأحاديث مصرحة بوجوب النار لمن قتله. روى البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من قتل معاهدا، لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً». وأما قاتل نفسه فالله سبحانه وتعالى يحذر من ذلك فيقول: (ولاتلقوا بأيديكم إلى التهلكة ». وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «من تردى من جبل فقتل فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلداً فيها أبدا، ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً».

وقد شرع الله سبحانه القصاص وإعدام القاتل انتقاما منه، وزجراً لغيره، وتطهيراً للمجتمع من الجرائم التى يضطرب فيهال النظام العام، ويختل معها الأمن. فقال: «ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب، لعلكم تتقون».

وقد كان نظام القصاص فى العرب على أساس أن القبيلة كلها تعتبر مسئولة عن الجناية التى يقترفها من أفرادها، إلا إذا خلعته وأعلنت ذلك فى المجتمعات . فلما جاء الإسلام وضع حداً لهذا النظام الجائر، وأعلن أن الجانى وحده هو المسئول عن جنايته، وهو الذى يؤخذ بجريرته فنزلت آية

القصاص.

قال البيضاوى فى تفسير هذه الآية: «كان فى الجاهلية بين حيين من أحياء العرب دماء، وكان لأحدهما طول على الآخر، فأقسموا لتقتلن الحر منكم بالعبد، والذكر بالأنثى، فلما جاء الإسلام تحاكموا إلى رسول الله ﷺ، فنزلت، وأمرهم أن يتباروؤا».

وفى الوقت نفسه حث الإسلام على العفو لقوله ﷺ «ما عفا رجل عن مظلمة إلا زاده الله بها عزا».

ومن هنا فإن أى منصف يرى أن الإسلام كان حريصاً على حياة الإنسان وكرامته.. عادلاً فى تطبيق الحدود فى قمة مثالية فى تطبيقها.. وهو ما يتجلى فى قوله ﷺ «لو إن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

وفى الوقت نفسه لم تعن العقوبات تشوق الإسلام إلى الدماء وإزهاق الروح والحياة وهو الحريص على الإنسان وكرامته ومن هنا فإننا نجد قبل أن تنفذ الشريعة العقوبة وضعت من القيود والحدود ما يمنع ارتكابها بحيث لم تترك عذرا لمعتذر، ولا علة لمن يتعلل بالوقوع فيها، فإذا وقع بعد ذلك كان هذا دليلا على عوجه وشذوذه وعدم صلاحيته للبقاء فى هذا المجتمع الطاهر، ولنبين ذلك فى بعض العقوبات: إن التشريع الإسلامى قبل أن يقيم حد الرجم على الزانى المحصن يسر له كل أسباب النجاة من الوقوع فى الزنا، فأمره بغض البصر، ورغّبه فى الزواج وأعطاه الحق فى الزواج بأكثر من واحدة بالعدل، وسمح له بالطلاق عند عدم التوافق، وحرم عليه الخلوة بامرأة أجنبية، وبهذا لم يعد له عذر فى الزنا، فإن زنى أصبح خطراً على المجتمع لا يستحق الحياة فيه فكان عقابة القتل بالرجم، وإنما كان القتل بالرجم دون غيره ليصحبه الألم وتصاحبه العظة والاعتبار وزجر الآخرين.

ثم إن هؤلاء المعترضين على الشريعة، يمارسون ذلك وأفظع منه بعيداً عن الشريعة فلو وجد أحدهم مع زوجته أو ابنته زانيا فإنه يعجل بقتل الجميع حرقا أو تسميماً وأحيانا يقطعون أوصاله ويهشمون عظامه، ولا يفرقون فى ذلك بين محصن وغير محصن.

والتشريع الإسلامى لايقطع يد السارق إلا بعد توفير كل الوسائل التى تمنع من السرقة، فقد أوجب على الأغنياء حقاً معلوماً للفقراء فضلا عن الصدقات، وجعل المرء مسئولا عن نفقة عياله وأقاربه، وأمر بصلة الرحم، وإكرام الضيف، وجعل الجار مسئولا عن جيرانه وسلب عنه الإيمان والرسول ﷺ يقول «ليس منا من بات شبعانا وجاره جائع»، وجعل الدولة مسئولة عن رعاية الأفراد بتوفير العمل لمن يستطيعه، وكفالة العاجز عنه وبذلك، منع الإسلام كل مبررات السرقة، فإن وقعت تحقق قبل القطع من توفير كل أسباب الوقاية، فإن اختل شىء منها، فلا قطع كما فعل عمر فى عام الرمادة مع غلمان ابن حاطب بن أبى بلتعة.

وإن توافرت سبل الوقاية والبينة أقام الحد، وتفسير حد السرقة: أن الدافع إليها هو الرغبة فى زيادة الكسب على حساب الآخرين ومن جهودهم فكان المناسب أن يكون العقاب بالحرمان من ذلك، وقطع اليد هو الذى يؤدى إلى نقصان الكسب وقلة الدخل، ونقص القدرة على الإنفاق وقد نجحت عقوبة السرقة الإسلامية فى تحقيق الأمن والسلام فى البلاد التى طبقتها فى حين لم تنجح القوانين الوضعية فى شىء من ذلك. وهل قطع يد السارق يشين التشريع الإسلامى، وذبح الأبرياء فى مشارق الأرض ومغاربها بالنابلم وقنابل الميكروبات.. حضارة مدنية؟!

وأخيرا نود أن نشير إلى أن هناك عقوبات قررها المشرع تبعا لمصلحة

المجتمع مثل تقرير عقوبة الإعدام فى قضايا المخدرات.. وهذه يمكن تعديلها وفقا لمقتضيات الظروف ولا يعنى هذا بالطبع التهاون فى التصدى ومعاقبة تجار المخدرات.

وغنى عن البيان أن الشريعة الإسلامية وضعت شروط للقاضى وأعطته حرية للقضاء.

القضاء:

إذا كان الحديث عن حقوق الإنسان فلابد للإشارة إلى القضاء فى الإسلام فقد كان أول خطاب لرسول ﷺ فى قوله تعالى «إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله»، وقوله تعالى «وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم وأحذرهم أن يفتنوك عن بعض ماأنزل الله إليك.

وقد حكم رسول الله ﷺ بكتاب الله حينما ولى بنفسه الحكم وتعهد بالنصح والارشاد من ولاه القضاء فى حياته كما فعل بالنسبة لمعاذ بن جبل حين أرسله إلى اليمن فسأله بم تحكم؟ قال: (رضى الله عنه) بكتاب الله، فسأله النبى: فإن لم تجد؟ قال: فبسنة رسول الله.. فسأله النبى فإن لم تجد؟ فأجاب معاذ: أجتهد برأيى ولا آلو (لاأقصر) وهكذا فعل الخليفة الصديق أبو بكر (رضى الله عنه) فتتبع ولاته بالنصح والارشاد مخافة أن يحيد منهم من يلى القضاء.

وفى رسالة عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى قاضيه بالكوفة التى تعتبر دستورا جامعا لما ينبغى أن يكون عليه القاضى، قال عمر: آس بين الناس فى مجلسك وفى وجهك وفى قضائك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك.. إلى آخر هذه الرسالة الكريمة والتى

شرحها إبن القيم الجوزيه فى كتابه الشهير، وفعل ذلك أيضا على بن أبى طالب حينما أرسل إلى واليه على مصر يوصيه بحسن اختيار القضاه ويختتم رسالته بعبارته الشهيرة «وأولئك قليل»

هذا عن القاضى أما عن تطبيق الأحكام القضائية فهناك أمثله كثيرة لشهادة غير المسلمين بقمة العدل فى القضاء فى الإسلام ، لعل أبرزها طلب على بن أبى طالب -كرم الله وجهه- عدم تمييزه على خصمه أثناء مثوله أمام القاضى.. ولعل أبرز مثال على ذلك قول الرسول ﷺ، (لو أن فاطمة بنت محمدا سرقت لقطعت يدها) كما أقام الخليفة عمر بن الخطاب الحد على ابنه.

وقد أمرنا الإسلام أن نحكم بالعدل حتى مع خصومنا.

يقول تعالى.. «ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألاتعدلوا، أعدلوا هو أقرب للتقوى».

فهل هناك أمثلة أروع من ذلك للتطبيق الأمثل للعدل وهو الذى يطمئن أى إنسان على حقوقه حتى ولو كان من غير المسلمين.

الظلم:

إن الله عز وجل حرم الظلم، وقال في الحديث القدسى (ياعبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا) أى لايظلم بعضكم بعضا.. وقد بينت الأحاديث النبوية الشريفة أن الله عز وجل قد يجعل العقوبة للظالم في الدنيا إلى جانب ما أعده من عقوبة فى الآخرة وفى الحديث القدسى الشريف «اشتد غضبى على من لم يجد له ناصرا سواى» وربك أعلم بالظالم والمظلوم، وليحذر الظالم دعوة المظلوم حتى ولو كان كافرا فالرسول ﷺ يقول «اتق دعوة المظلوم»، وإذا كان المظلوم يشعر بأن

دعاءه على الظالم يخفف عن نفسه مرارة الألم فليدع بما علمنا إياه الرسول ﷺ فى قوله «خذ بثأرنا ممن ظلمنا» ولايشغل السائل نفسه بترديد اسم ظالمه حتى لايكون فعله مخففا من سيئات ظالمه كما قالت السيدة عائشة رضى الله عنها وليستمر فى ذكر الله بقوله «حسبى الله ونعم الوكيل من غير أن يذكر اسم هذا الظالم».

فقد كان الرسول ﷺ يكره الظلم ويحذر من مغبته وهناك أحاديث كثيرة للرسول ﷺ تحذر من الظلم ومن مغبته.. يقول ﷺ «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة» ويقول «إن الله يملى للظالم فإذا أخذه لم يفلته» وقال: «من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة، فقال رجل: وإن كان يسيرا يا رسول الله فقال: وإن قضيبا من اراك» وقال «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»

وهناك أحاديث كثيرة للرسول ﷺ تنهى الإنسان عن كل أنواع الظلم سواء ظلم العبد لربه أو ظلمه لغيره من عباد الله أو للمخلوقات أو ظلمه لنفسه.

ولم يفت الرسول فى تحذيراته من الظلم أن ينهى عن ظلم المخلوقات وقد أوضح الرسول ﷺ أن امرأة دخلت النار فى هرة لأنها حبستها ولم تطعمها ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض. وفى كل هذا تحذيرات للإعتداء على حقوق الإنسان وجميع المخلوقات وكراهية للظلم وللظالمين.

العفو: ورغم تحذير الرسول ﷺ من الظلم وكراهيته له إلا أنه «الرحمة المهداه» حث على العفو يقول ﷺ «ما عفا رجل عن مظلمة إلا زاده الله بها عزة وقوله ﷺ«تعفو عمن ظلمك»» وقد كان الرسول خير مثال للعفو عن جابر رضى الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ بذات الرقاع، فإذا اتينا على

شجرة ظليلة تركناها لرسول الله ﷺ فجاءه رجل من المشركين وسيف رسول الله ﷺ معلق بالشجرة فاخترطه، فقال تخافني؟ قال لا.. قال من يمنعك مني؟ قال: الله، فسقط السيف من يده، فأخذ رسول الله ﷺ السيف فقال: من يمنعك مني؟ فقال كن خير أخذ.

فقال: تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟.. فقال: لا ولكني أعاهدك ألا اقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله.. فأتى الرجل أصحابه فقال: جئتكم من عند خير الناس.

أن هناك مئات الروايات لعفو الرسول ص عند المقدره ولعل في درس عدم قتل كفار مكة بعد أن أذوه وأذوا المسلمين نحو ١٣ عاما.. لخير مثال.

٣-تحقيق الأمن للعقل (حرية الإنسان في تفكيره) :

حث الله الإنسان على التأمل في الكون وفي أبداع الله وأياته ونتكشف منها صفاته وإن نبني سلوكنا بعد ذلك على إيمان وثيق.. وقد كان الرسول ﷺكثيراً ما يتأمل في الكون وأيات الله حتى قبل نزول الوحي.. وعندما جاء الإسلام باعتباره الحلقة الخاتمة للرسالات السماوية... وسما الإسلام بالعقل وتدبر ووعى كتاب الوحي وكتاب الكون فأبدع علوم وحضارة سبق بها الأمم.. فالفعل كما نستقرءه من تدبر الرسول ﷺ في الكون مفهومه ليس «عضواً» بالجسم إنما هو «فعل التعقل» بما فيه من تأمل وتدبر وإدراك.. ومن هنا فإن تحرير العقل الإنساني هو تحريره من الجمود والتقليد الأعمى والغرور والهوى وإنه على هذا الوجه يعد صديقاً للعلم باعثا في أسرار الكون وهناك أحاديث كثيرة حث فيها الرسول ﷺ على طلب العلم ومنها: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» أي إشارة إلى عظيم مكانته

وجعله فريضة .. كما حثنا على الاجتهاد فقال ﷺ فيما معناه من اجتهد وأخطأ فله أجر ومن اجتهد وأصاب فله أجران.. وبهذا المنهاج كانت النظرة بين الثوابت والمتغيرات وجعلت التجديد قانونا فى عالمى الدين والدنيا وقد قال ﷺ «يبعث لله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد دينها»..

ومن هنا فإن الحديث عن العقل نتيجة منتظرة ليفكر الإنسان فيما ينفع نفسه وينفع غيره.. وهنا تجدد الإشارة إلى ارتباط الفكر بالعمل.. ولايغنى مجرد التدين أو إقامة الشعائر، فالله لايقبل تديناً يشينه الشلل.. يقول ﷺ المؤمن القوى أحب إلي الله من المؤمن الضعيف.. وعن قيمة العمل يقول ﷺ خيركم من يأكل من عمل يده كما تجدر الإشارة إلى أن الحلال والحرام ليس حجراً على حرية الإنسان «لاضرر ولا ضرار» فهو لايحدد نشاطه الفكرى ولكنه توجيه لعقله ووقاية له من الانحراف الضار.

مبدأ تحريم الخمر

وقد جاء هذا المبدأ ليرتفع بشأن العقل والسلوك البشرى لما تفعله الخمر بالعقل ولما تفعله بصحة الإنسان، وقد تدرجت الشريعة فى تحريمها حتى أصبحت النفوس مهيئة لاستقبال التحريم البات، كما حرمت الشريعة كل أنواع المسكرات عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «كل مسكر خمر وكل مسكر حرام» وها نحن نرى أثر المسكرات والمخدرات فى تحطيم الكثيرين وهو ما اضطر الغرب بتوسيع دائرة حظر تداول أنواع عديدة من المخدرات.

٤- تحقيق الأمن للعرض (حرية الإنسان فى تعبيره)

وضع الإسلام ضوابط كثيرة وحدودا للتعبير لما له من أهمية كبيرة فى

المحافظة على الركائز الأساسية التى يقوم عليها المجتمع فاهتم بالتعبير لإقرار العدل بين الناس وقد حرم الشهادة الزور كسلوك تعبيرى منحرف وأعتبر الشهادة الزور من الجرائم الخلقية الماسة بالشرف والنزاهة لأنها مناصرة للظلم وهضم حق المظلوم وتضليل القضاء وورد فى الحديث الشريف أنه روى عن أبى بكره قال: قال رسول الله > «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين وكان متكئا فاعتدل وقال: ألا وقول الزور، ألا وقول الزور فمازال يكررها حتى قلنا ليته يسكت، وعن أبى عمر «أن النبى > قال لن تزول قدم شاهد الزور حتى يوجب الله له النار»

واهتم الإسلام كذلك بالتعبير حتى تسود العفة ألسنة الناس فنهى عن النميمة وقال الرسول «لا يدخل الجنة نمام» كما قال > «ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال شراركم المشاءون بالنميمة المفسدون بن الأحبة الباغون العيوب»

وقد نهى الرسول ﷺ عن سب الأموات وقال: أذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم» أما المسلمون المعلنون بفسق أو بدعة أو عمل فاسد فإنه يباح ذكر مساويهم إذا كان فيه مصلحة تدعو إليه كان للتحذير من حالهم والتنفير من قولهم وترك الاقتداء بهم وإن لم يكن فيه مصلحة لا يجوز وقد روى البخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه قال: «مروا بجنازة فاثنوا عليها خيرا فقال النبى ﷺ وجبت ثم مروا بأخرى فاثنوا عليها شرا فقال عمر رضى الله عنه ما وجبت؟ قال «هذا اثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا اثنيتم عليه شرا فوجبت له النار انتم شهداء الله فى الأرض.

وقد حث الرسول ﷺ على حماية أعراض الناس والمحافظة على

سمعتهم وصيانة كرامتهم فهو يحذر من القذف والخوض فى الأعراض قال ﷺ «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا وما هن يا رسول الله قال «الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» ويقول ﷺ «إن لك لملك حمى وحمى الله محارمه» وقد نهى الرسول ﷺعن الكذب وأوضح أنه لا يجتمع مع الإيمان ولا يكون المؤمن كاذبا.. وإن كان قد أباح حالات للكذب لحماية المجتمع الإسلامى والمصلحة الراجحة فأجاز الكذب والخداع فى الحرب لتضليل العدو مادام ذلك لم يشتمل على نقض عهد أو اخلال بأمان وفى الحديث عن جابر أن النبى ﷺ وسلم قال «الحرب خدعة» وأخرج مسلم من حديث أم كلثوم بنت عقبة رضى الله عنه قالت: لم أسمع النبى ﷺ يرخص فى شىء من الكذب مما يقول الناس إلا فى الحرب، والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها»

ومن أحوال الإباحة حق النقد، فقد وقف عمر بن الخطاب يقول: أيها الناس من رأى منكم فى اعوجاجا فليقومه» فقال بعض السامعين: «والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بالسيوف» فقال: الحاكم العادل: «الحمد الله الذى جعل فى أمة محمد من يقّوم عمر بالسيف إذا اعوج». والتقويم بالسيف يبيح من باب أولى التقويم بالنقد واللفظ الجارح واللوم بالقول.

لا يعاقب المرء إلا على التعبير الواعى المقصود لقول الرسول ﷺ «رفع القلم عن ثلاث عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبى حتى يحتلم، عن المجنون حتى يفيق وقال كذلك «رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما أستكرهوا عليه» وأخيرا وضع الإسلام مبادىء وأسس ضبط التعبير من الناحية الإجرائية ويتلخص فى صحة الدليل ومشروعية وسيلة الإثبات

فالشارع الإسلامى لا ينقب عن الجرائم تنقيبا ولا يتجسس عليها تجسسا فإن فى هذا معانى تفتك بالمجتمع، ولذلك لا يلتفت إلى الظن. ويقول الرسول ﷺ «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله اخوانا»

إن توجيه الإسلام للإنسان فى مجال التعبير لا يقتصر على المدلول ولكنه يشمل المدلول والأداء فإذا استوجب أن يبتعد مدلول التعبير عن الضرر والإيذاء فبذلك استوجب الإسلام أن يبتعد ادائه عن الضرر والإيذاء وفى ظل هذا التوجه وذلك التقرير لحرية الإنسان فى مجال التعبير رأينا الإنسان الذى لا يخشى فى الحق لومة لائم ويقف ليوجه الحاكم ويلفت نظره إلى حق فاته وتحدثنا كتب السيرة عن موقف المرأة المسلمة التى اعترضت على تحديد عمر بن الخطاب للمهر فيتراجع الخليفة العادل أمام قولتها الحره صائحا «أصابت المرأة وأخطأ عمر».

٥- تحقيق الأمن فى المال (حرية الإنسان فى ملكه)

الإسلام يقرر حق الإنسان فى تملك كل مافى الكون والحصول على هذا الحق يعتمد على جهد الإنسان وسعيه وإن كان الإسلام لا يترك هذا الحق مطلقا من كل ضابط لإن الحصول على الملك ليس غرضا وإنما هو وسيلة للاستقرار والسعادة ولذلك فهو يحيط هذا الحق بإطار من عدم الضرر .

فالملكية فى الإسلام مصونه، لا يملك أحد أن يعتدى عليها ولكن هذا الحق لا ينبغى أن يتجاوز به صاحبه الحدود الشرعية فى الاكتساب والإنفاق، لأن مجتمع المؤمنين يعلم يقينا أن الملك لله وحده، والإنسان مستخلف فيما خوله لله وإنها أمانة يحاسب عنها الإنسان، ومن ثم فالإسلام لا يبيح الاحتكار ولا الاستغلال، لا أكل أموال الناس بالباطل، ولا الربا ولا

القمار.

والشريعة توجب على المالك -المستخلف- ألا يتجاوز هذه الحدود الشرعية فى الاكتساب، وتوجب عليه ألا يتجاوزها فى الانفاق، وتجعل للفقير حقا معلوما فى مال الغنى، وتفصيل ذلك معلوم بالضرورة من دين الإسلام.

أجمع من المال ما شئت لكن بشرط أن تجمع هذا المال من حلال وأن تؤدى حق الله فيه وأن تؤدى حق المجتمع فيه، وإذا كنت كذلك، أنطبق عليك قول النبى ﷺ «نعم المال الصالح للرجل الصالح» المال نعمة وكلما كانت الأمة غنية بأموالها ولا تمد يدها إلى غيرها كانت كلمتها مسموعة، وكلما كان رأيها تقوله فتسمع الدنيا إليه. «وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا» أجمع من المال ما شئت بهذا الشرط الذى ذكرناه من قبل. والرسول ﷺ يقول فى حديثه الذى يعد من جوامع الكلم والذى لو أخذ به الناس لكفاهم. «إنما الدنيا نفر: عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقى فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم أن لله حقا، فهذا بأفضل المنازل. وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو طيب النية يقول: لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته فأجرهما سواء. وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يتخبط فى ماله بغير حق لا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم أن لله تعالى فيه حق فهذا بأسوأ المنازل، وعبد لم يرزقه الله لا مالا ولا علما فهو سيىء النية يقول: لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان أى بعمل فلان المفسد، بعمل فلان المغرور، بعمل فلان الظالم، يقول ﷺ فهو بنيته فوزهما سواء لأن الأعمال بالنيات وأن لكل أمرىء ما نوى.

ما أجمل وما أحكم وما أعظم أن تكون هذه الآية الكريمة «وابتغ فيما آتاك لله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك

ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين». وما أعظم تطبيقها كما أمرنا رسول لله ﷺ.

مبادىء إسلامية لتحقيق الأمن للمال:

لأن المال عصب الحياة وقوامها فقد قدم الإسلام منهجا لتحقيق الأمن للمال ممثلا فى نواحى عديدة أهمها:

١- الزكاة والصدقة: كفل الإسلام المحتاجين الذين عجزوا عن العمل وكسب الرزق، وفرض الإسلام الزكاة وجعلها الله مع التوبة من الشرك ومع إقامة الصلاة عنوان الدخول فى دين الإسلام قال تعالى: «فإن تابوا وأقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم أن الله غفور رحيم» واقترنت الزكاة مع الصلاة فى أيات عديدة إذ تعد أحد أركان الإسلام الخمسة قالى ﷺ بنى الإسلام على خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاه، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا.

كما حث الإسلام على الصدقة قال تعالى: «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء»، وقال ﷺ.. «الصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفى الماء النار»، والزكاة والصدقة لا ينتقصان من مال المسلم بل تزيدا من بركته فى الدنيا وتثويه فى الآخرة.. كما أن الزكاه والصدقة تساعد على تكافل المسلمين وتحد من الأمراض الاجتماعية والنفسية، ومن بينها الحقد والحسد.. وبالتالى فإن منح الزكاه والصدقة هو أحد روافد الحفاظ على المال والنهوض بالمجتمع.

٢-تشديد عقوبة السرقة والاعتداء على الملكية الفردية والاعتداء على أمن الجماعة: إن المجتمع المسلم يوفر للناس -على اختلاف عقائدهم- ما

يدفع خاطر السرقة عن كل نفس. أنه يوفر لهم ضمانات العيش والكفاية، وضمانات التربية والتقويم. وضمانات العيش للعدالة فى التوزيع، وفى الوقت ذاته يجعل كل ملكية فردية فيه تنبت من حلال، ويجعل الملكية الفردية وظيفة اجتماعية تنفع المجتمع ولا تؤذية، ومن أجل هذا كله كله فمن حقه أنن أن يشدد فى عقوبة السرقة، قال تعالى وهو أحكم الحاكمين: «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله- والله عزيز حكيم».

٣- تحريم الربا: إن هذا النوع من التعامل المالى والاقتصادى لايقف أثره عند حد تحطيم الفرد ومجتمعه ولكنه يتناول المجتمع البشرى جميعه وقد دفع الإسلام إلي تقرير ذلك المبدأ رفع مستوى الجماعة أخلاقيا واقتصادياً وقد بدأ الرسول «ﷺ» فى تقرير إلغاء الربا. معلنا ذلك المبدأ الهام وعامداً ففى نفس الوقت لجأ إلى تخفيف وقعه على النفوس التى اعتادته أصلا فى اقتصادها فبدأ بأقرب الناس إليه وألغى رباه: فقال ﷺ «ألا أن ربا الجاهلية موضوع عنكم كله، رؤوس أموالكم لاتظلمون ولاتظلمون، وأول ربا موضوع أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب». وعن ابن مسعود رضى الله عنه. قال:لعن رسول الله «ﷺ» «آكل الربا وموكله» وزاد مسلم وغيره «وشاهديه وكاتبيه».

ولقد اعترف الغرب بتأثير الربا على الاقتصاد وتدميره.

٤- تحريم الاكتناز: إن اكتناز الأموال وحبسها عن التداول هو تعطيل لوظائفها الأساسية وحرمان المجتمع المسلم من الخير الذى سيعود عليه باستثمار تلك الأموال ومواجهة مطالبة واحتياجاته الأساسية وتحقيق الأمن لحياة الفقراء بعيدا عن شظف العيش، قال تعالى فى كتابه الكريم محذرا أشد التحذير لكل من تسول له نفسه اكتناز النقود وحبسها عن الاستثمار

فى الأغراض التى حددها الله لنا لتحقيق الرفاهية والتقدم للمجتمع المسلم: «والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون».

٥- **تحريم الاحتكار**: حرم الإسلام تحريما قاطعا تخزين كميات كبيرة من الناتج تؤدى إلى نقص المعروض منه فى السوق أو اختفائه فلا يجد المسلم حاجته الضرورية إلا بأسعار مرتفعة، باستغلال حاجة المسلمين لتحقيق أرباح طائلة وهو ما يرفضه الإسلام، يقول الرسول ﷺ: «من دخل فى شىء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم، كان حقا على الله أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة». «من احتكر طعاما على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والإفلاس». «من احتكر طعاما أربعين يوما فقد برىء من الله وبرىء الله منه».

٦- **الاهتمام بتوثيق الدين**: لما كان الإسلام دين الحياة فهو يراعى تلك الضرورة التى تلجأ الناس إلى الدين، فنظمها أروع تنظيم بالمحافظة على حق الدائن والمدين لحقوق كل منهما فى تبادل الأموال قال تعالى: «يا أيها الذين آمنو إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه، وليكتب بينكم كاتب بالعدل، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله، فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا».

٧- **الحفاظ على مال الضعيف**: إن تداول المال فى المجتمع يستلزم خبرة ودراية، وقد راعى الإسلام بعض الفئات من الناس الذين ليست لديهم تلك الدراية أو الخبرة فبالنسبة لليتيم فعلى ولى أمره أن يستثمر ماله بالحكمة. بما يعود على اليتيم بالنفع، وليحذر من تسول له نفسه بأن يستحل

شيئا من هذه الأموال. قال تعالى: «أن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا». وبالنسبة للسفيه فليس من الحكمة ترك المال بين يديه يبعثره كيفما يتراءى له خياله المريض. مما ينعكس آثاره السيئة على المجتمع الإسلامى ككل. وقال تعالى: ولا تؤاتو السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا».

٨- تحريم الغش والرشوة: إن الغش والرشوة وسيلتان للحصول على حقوق بدون وجه حق وهما وبال على المجتمع عندما يصاب بداء التراخى وحب الكسب السريع. إنهما يؤديان إلى أسوأ تداول للمال يعود بأوخم العواقب على الاقتصاد القومى كله قال تعالى: فى كتابه الكريم بشأن تحريم الرشوة: «ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالأثم وأنتم تعلمون».

وقال ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعن علمه ماذا فعل فيه؟. وقوله ﷺ «لعن الله الرشوة والرائش والمرتشى» أما بالنسبة للغش فاقرأ.

قول الحق تبارك وتعالى: «يا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين». ولأنه خرج من تبعية أمة محمد الرسول الأمين الذى قال صلوات ربى وسلامه عليه «من غش أمتى فليس منى».

حرمة المال العام

وكثير من الناس يتولون تصريف الأمور المالية فى مؤسسات الدولة والمؤسسات العامة والمصارف، والشركات وغيرها -وهؤلاء وكلاء عن الأمة

فى تصريف أمورها المالية وواجبهم أن يحفظوها، ويسهروا على حمايتها، وإحكام الرقابة عليها، فلا تنفق إلا فى وجوهها المخصصة لها.

- وفى حديث رسول الله -ﷺ- عن «خولة الأنصاريه» رضى الله عنها -قالت: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: (إن رجالاً يتخوضون فى مال لله بغير حق فلهم النار يوم القيامة).

- وعن «يزيد» رضى لله عنه -قال: قال رسول الله ﷺ: «من استعملناه على عمل، ورزقناه رزقاً، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول».

فالحرص على الأموال العامة واجب قومى، لأنها تنفق فى خير الوطن، ويستعان بها فى التنمية والمشروعات التى تخدم أبناء الوطن وترقى بهم، والاستيلاء على شىء منها -بأى طريق- جريمة وخيانة.

ولننقل من سيرة أبى بكر ثم من سيرة عمر رضى الله عنهما ما يصور هذه المعانى، وما يكشف اجمالا سياسة المال والحكم فى الإسلام..

قال أبو بكر لأم المؤمنين عائشة حين حضرته الوفاة: «هذا يوم يجلى لى عن غطائى، وأشاهد جزائى! فرحا، فدائم، وإن ترحا، فمقيم.. إنى اضطلعت بإمامه هؤلاء الناس حيث كان النكوص إضاعة، والخذل تفريطا»- يعنى أنه ما أرغب فى الخلافة، ولا أحبها، ولكنه أحس أن الجبن عن قبول المنصب المعروض سيعرض الأمة لفتن شداد، ولذلك يقول بعد «... فشهيدى الله ما كان يقيلنى إياه -ما كان يقبل منى تركه-..».

ويذكر أبو بكر أنه ما أخذ من مال الأمة إلا النزر اليسير، صفحة فيها لبن من ناقة خصصت له من بيت المال، فيقول: فتبلغت بصفحتهم، وتعللت بدرّه لقحتهم، وأقمت صلاتى معهم لا مختلا أشرا، ولا متكاثرا بطرا..!! لم أعد -أتجاوز- سد الجوعة، وورى العورة، وقواته القوام -قدر ما يعيش به

من القوت الذى يمسك حياته-...

ثم يستشهد الخليفة الأول بالله أنه اضطر للأكل من بيت المال دفعا للجوع، وأن أحشاءه كانت تمتعض لغثاثة الأكل الذى يتناوله! ولكن المضطر يستسيغ المر! وعبارته هى «حاضرى الله طوى من ممعض تهفو منه الأحشاء، وتجب له الأمعاء، فاضطررت إلى ذلك اضطرار المريض إلى المعيف الآجن» أى اضطرار المريض إلى الدواء المر..

ثم يوصى الخليفة المحتضر ابنته أن ترد على المسلمين ما أخذه من مالهم، فيقول: «فإذا أنا مت فردى إليهم صفحتهم، وعبدهم -الذى كان يخدمه- ولقحتهم -الناقة التى كانت تحلب له- ورحاهم، ودثارة ما فوقي اتقيت بها البرد، ودثاره ما تحتى اتقيت بها نز الأرض، وكان حشوها قطع السعف» كانت «المرتبة» التى ينام عليها محشوة بقطع السعف..!! قال الشيخ الخضرى: وكأن أبا بكر يرى أنه لا حق له فى بيت المال -نظير عمله- فأوصى بأرضه للمسلمين مقابل ما أخذ منهم.

أما بلاؤه الطويل فى تثبيت قواعد الإسلام أمام المرتدين، وإعداده الفذ لحرب الفرس والروم، فذاك جهاد عبد يبتغى وجه الله، ولا يطلب عليه أجرا..

أما عن عمر بين الخطاب فنحن ننقل مثالا لبعده هو وأهله إن أي عمل به شبهه استغلال النفوذ وتروى كتب السيرة أن أم كلثوم بنت على بن أبى طالب كانت زوجة لعمر أرسلت هدية إلى ملكة الروم عند الشروع فى الصلح.. وبعدها ردت ملكة الروم الهدية بأغلى منها إلا أن عمر بن الخطاب اقلقته الهدية الفاخرة (عقد ثمين) فصادره لحساب بيت المال وأعطى أمرأته ثمن ما انفقت فى هديتها الأولى!.

٦- حرية الإنسان فى تعامله:

حرية الإنسان فى تعامله ضرورة يعترف بها الإسلام ويقررها لأن طبيعة التكوين الإنسانى تستلزم الجماعة.

واشترط الإسلام الأهلية المادية فى العقود والأهلية المعنوية فألغى كل تصرف يقوم على الخداع.

وحث الرسول ﷺ على كل ما يبعد عن إذلال الإنسان فحث على العمل الشريف وفى الحديث الشريف «من أمسى كالاً من عمل النهار أمس مغفوراً له» و«ما أكل أحد طعاماً قط خير من أن يأكل من عمل يده وأن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده» ولما نظر الرسول ﷺ إلى كفى سعد بن معاذ ووجدهما خشنين من كثرة العمل أمسكهما بيديه الشريفتين وقبلهما ورفعهما إلى السماء وقال: «كفان يحبهما الله ورسوله ولم يمسسهما النار».

أما الشعبة الثانية عن تصدى الإسلام لروافد الإذلال فكان سد روافد الرق والحث على تحريرها.. وعن أبى هريرة -رضى الله عنه قال- قال رسول الله ﷺ: «من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار حتى فرجه بفرجه».

ولم يفت الإسلام -فى مجال توجيه الإسلام إلى الحرية- أن هناك نفوساً ران عليها الظلم، فرضخت له حتى أعماها من نور الحرية واستعذبت الاستعباد فتوعدهم الإسلام بأشد العقوبات، يقول جل شأنه: إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم، قالوا كنا مستضعفين فى الأرض، قالوا: «ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً».

وكذا اعتبر الإسلام العمل على تخليص المستعبدين هدفاً من أهداف

الجهاد «ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والوالدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا».

توجيه الإنسان إلى أن يكون إيجابى فإنسان الإسلام يرى إنه معد فى واقع مقصود النهوض به، فإذا لم ينهض بهذا الواقع فلا قيمة فى هذا الإعداد فى ذاته، فلذا فهو إنسان يسمع فى أعماقه دائماً هاتفاً للعمل ويراه ترجمة واقعية للإيمان ولا يقتصر الإيمان على مجرد مشاعر فى وجدان الناس بل استغلال ماالديهم من قوة وينبهم إلى آثارها ولا ينتظرون أن تأتيهم الحاجة بدون سعى، وقد عبر عن ذلك هذا المعنى الرسول ﷺ «لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس إن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا».

والإنسان فى الإسلام مسئول ومسئولية الإنسان سر تكريمه وتفضيله ومناط المسئولية التكليف، والتكليف يتناول الحث والمعنى، فليس مكلفاً من لم يبلغ من التعقل أو الموازنة والتفضيل يقول النبى ﷺ رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبى حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل.

والإنسان فى الإسلام مسئول عن ذاته يحافظ عليها.. يقول رسول الله ﷺ «لا تزول قدما عبد حتى يسئل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل به، وعن ماله من أين اكتسب وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه.

وإنسان الإسلام مسئول عن غيره فمسئولية الإنسان عن غيره إنما هى مسئوليته عن كيانه ونفسه لأن الاجتماع فطرة إنسانية والمحافظة عليه محافظة على تلك الفطرة ولا عذر لإنسان فى التحلل من تلك المسئولية فكل إنسان مسئول حسب وضعه فى مجتمعه لا فرق بين رجل وامرأة ولا بين

خادم وسيد. عن ابن عمر -رضى الله عنهما- قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته». «الإمام راع ومسئول عن رعيته». «والرجل راع فى أهل بيته ومسئول عن رعيته». «والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها». «والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته». «فكلكم راع ومسئول عن رعيته».

ومسئولية كل إنسان على حسب قدرته: عن أبى سعيد الخدرى -رضى الله عنه- قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

ومسئولية الإنسان تحفظ حريته، وحريته فى منعه الأذى مقدمه على تحقيق النفع وعلى التعاون لدفع الضرر، عن النعمان بن بشير -رضى الله عنهما- عن النبى ﷺ قال: «مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها وكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا من نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا».

ومسئولية تغرس فى نفس الإنسان حب أخيه الإنسان فيعاونه على الخير ويدفعه عن الشر. يقول رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه» «ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته.. ومن فرج على مسلم فرج الله عنه بها كربه من كرب يوم القيامة.. ومن ستر مسلم ستره الله يوم القيامة»..

ومسئولية الإنسان المسلم تقى المجتمع الانهيار:

لأن كل إنسان فيه يحس أن المجتمع مجتمعه عن حديثه رضى الله عنه

قال رسول الله ﷺ «والذى نفسى بيده لتأمرون بالمعروف، ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلايستجاب لكم».

فأين من هذه المسئولية التى يحملها الإسلام للإنسان ما يتشدق به ضعاف النفوس والمتربصون من تخدير الدين للإنسان؟!».

١- تحرير الرق

إن قال قائل: لمَ لمْ يفرض الإسلام تحرير العبيد فرضاً لا يسع المسلم تركه قلنا: إن الإسلام جاء والأرقاء فى أيدى الناس فلا يليق بشريعة الله العادلة والتى نزلت لتحفظ للإنسان نفسه وعرضه وماله لا يليق بها أن تفرض على الناس الخروج من أحوالهم بالجملة، كما أنه ليس فى صالح كثير من الأرقاء التحرر إذ أنه من النساء والأطفال وحتى من الرجال أيضاً من لا يستطيع أن يكفل نفسه بنفسه لعجز عن الكسب وجهله بمعرفة طرق الكسب، فكان بقاؤه رقيقاً مع سيده المسلم الذى يطعمه مما يأكل ويكسوه مما يسكو به نفسه ولا يكلفه بالعمل مالا يطيقه خيراً من إقصائه عن البيت الذى يحسن إليه ويرحمه إلى جحيم القطيعة والحرمان.

وجعل الإسلام كفارات عديدة لعتق الأرقاء ومنها: -كفارة ضرب العبد عتقه قال رسول الله ﷺ من ضرب غلاماً له حداً لم يأته أو لطمة فإن كفارته أن يعتقه.

- جعل العبد يعتق لمجرد أن يملكه من ذو رحم له.. قال رسول الله ﷺ من ملك ذا رحم محرم فهو حر.

- الإذن بالتسرى بالإماء ليصبحن فى يوم من الأيام أمهات أولاد فيعتقن بذلك.. قال رسول الله ﷺ: «أيما أمة ولدت من سيدها فهى حرة بعد موته».

- سريان العتق إلى بقية أجزائه إذا عتق منه جزء.. فإن المسلم إذا عتق نصيباً له فى رقيق أمر أنه يقوم عليه النصيب الباقى فيدفع عنه لأصحابه ويعتق العبد بكامله. قال ﷺ: «من عتق مشركاً فى عبد فكان معه ما يبلغ

ثمن العبد قوم عليه قيمة العدل وأعفى شركاه حصصهم وعتق جميع العبد، بالإضافة إلى ما أقره الإسلام فى مواضع عديدة على الحث على تحرير الرق ومنها جعل تحريره كفارة لجناية القتل الخطأ وكذلك لعدة مخالفات كالظهار والحنث فى اليمن وانتهاك حرمة رمضان بالإفطار فيه. أيضاً الأمر بمكاتبة من طلب الكتابة من الأرقاء بمساعدته على ذلك بقسط من المال كما جعل الإسلام مصرفاً خاصاً من مصارف الزكاة للمساعدة فى تحرير الأرقاء.

٢- مبدأ المساواة:

النصوص الإسلامية صريحة فى تقرير المساواة فى القيمة الإنسانية المشتركة ولقد جاء الإسلام وكان الوسط الذى يعيش فيه الرسول ﷺ وسط تقوم حياته على التفاضل بالمال والجاه واللون والأجناس وجاء تقرير المساواة فرفع مستوى الجماعة نحو الرقى والتقدم، كما امتاز بالعموم والمرونة فلا يمكن أن تتغير مع ظروف الزمان والمكان والأشخاص، وهنا نقول: إن القوانين الوضعية لم تعرف هذا المبدأ إلا فى أواخر القرن الثامن عشر بل وكثيراً ما تطبقه تطبيقاً محدوداً بالنسبة لشريعة الإسلام، ومن النصوص الصريحة فى تقرير هذا المبدأ قوله تعالى: «يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير».

وقال رسول الله ﷺ فى خطبة الوداع: «أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربى على عجمى، ولا عجمى على عربى، ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد ألا فليبلغ الشاهد منكم

الغائب». وقال ﷺ: «المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم».

٣- مبدأ الشورى:

الشورى، حق إبداء الرأى وإسداء النصح فى جو من الحرية التامة. ومن أجل ذلك كانت الشورى فى عظائم الأمور ضرورية لكل فرد، وهى للولاة والحكام الزم لكثرة ما يعرض لهم من العظائم التى تتطلب اجتماع العقول وتضافر القوى طلبا للسلامة وفرارا من الزلل وإشراكا للأمة فى شئونها.

كما جاء فى أمر الله لنبيه محمد ﷺ بها فى قوله تعالى: «وشاورهم فى الأمر» أى فيما لم ينزل عليك فيه وحى لتستظهر برأيهم، ولما فيه من تطييب نفوسهم ورفع اقدارهم. فعن الحسن رضى الله عنه قال: قد علم الله أنه ما به إليهم حاجة ولكنه أراد أن يستن به من بعده، وعن «أبى هريرة رضى الله عنه قال: ما رأيت أحدا أكثر مشاورة من أصحاب الرسول ﷺ وقال ﷺ: «ما تشاور قوم إلا هدوا لأرشد أمرهم»، وجاء فى تفسير الكشاف أن هذا القول من كلام الحسن رضى الله عنه.

وفى غزوة الأحزاب يرجع فشل الحصار الذى ضربته قريش وحلفاؤها على المسلمين فى المدينة إلى الخندق الذى حفر حولها بناء على مشورة الصحابى المجاهد سلمان الفارسى رضى الله عنه.

وفى حياته ﷺ سمح للنساء بإبداء آرائهن وأخذ بمشورتهن، ففى يوم الحديبية تباطأ المسلمون فى الامتثال لأمر الرسول بالتحلل من العمرة، وأهم الرسول ذلك حتى قال: هلك الناس، ولكن أم سلمة زوج الرسول -وكانت معه- أشارت عليه بأن يخرج على الناس ويحلق رأسه ويتحلل فإن الناس لا يلبثون أن يقتدوا برأيه، ففعل، وأسرع الناس فى التأسى به، وكان ذلك بفضل مشورة أم سلمة.

وقد جاء تقرير الإسلام للشورى فخلق جماعة جديدة فى مستوى أرفع ذات ضمير جماعى حى يشعرها بالمسئولية ويحملها على التفكير فى المسائل العامة ويدفعها إلى الاشتراك فى الحكم وغير خفى أن النصوص التى قررت مبدأ الشورى بالمرونة والعموم بحيث يمكن لأولياء الأمور فى الجماعة أن يضعوا قواعد التنفيذ التى تلائم ظروفهم وبيئتهم مثل أن يعرفوا رأى الشعب عن طريق رؤساء الأسر والقبائل أو ممثلى الطوائف أو بأخذ رأى الأفراد الذين تتوافر فيهم صفات معينة أو بطريق التصويت أو ابتكار من السبل ما يرونه مناسبا بشرط ألا يكون فى ذلك كله «ضرر ولا ضرار» بمصالح الأفراد أو الجماعة أو النظام العام .

كما أرست الشريعة الإسلامية قواعد فى الشورى وعلى رأسها التزام الأقلية برأى الأغلبية.. والحث على حرية الرأى.. وأن كانت الشورى أصبحت فى دنيا المسلمين مكانا ثانويا وهو ما أدى إلى ضعف شأنهم ودفع الانفراد بالرأى لدى الحكام إلى الظلم والخطأ حتى صار المسلمون مع الأزمان إلى ما هم فيه فلا حل إلا بالحرية فى ظلال الشورى التى شاهدنا مثاليتها فى عهد النبى ﷺ والذى سبق الغرب بأكثر من إحدى عشر قرنا فى تقرير هذا المبدأ.. بل ومازال الغرب يأخذ بصور منقوصة كثيرا عن المثل المتكاملة مثلما طبقها الرسول ﷺ.

٤- مبدأ تقييد سلطة الحاكم:

الحكم فى الإسلام ليس ترفاً بل هو مسئولية ثقيلة يؤجل بها الأقوياء، وقد حدد الإسلام شروطا لسلطة الحاكم وقيدها بقيود وأمر الإسلام الحاكم برعاية مصالح الرعية الدنية والمدنية والتيسير عليهم، وفى الدعاء المأثور عن النبى ﷺ «اللهم من ولى من أمر أمتى شيئاً فرفق بهم فارق به، ومن

ولى من أمر أمتى شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه».

والحاكم فى الإسلام يخشى الله فى أمور الرعاية وها هو عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- يقول: لو أن بلغلاً عثربالعراق لحسبت عمر مسئولا عنه.. لمَ لمْ يسوّ له الطريق؟

ومبدأ تقييد سلطة الحاكم فى شريعة الإسلام يعتمد على ثلاثة أسس رئيسية الأولى:

تحديد سلطة الحاكم.. وقد كانت سلطة الحاكم مطلقة إذا كان يرتكز فى علاقته بالمحكومين على القوة والقهر ولذلك فللمحكومين كانوا مثل الخدم والعبيد، وقد قضى الإسلام على ذلك الفساد وجعل علاقة الحاكم والمحكومين ترتكز على المصلحة العامة لا على قوة الحاكم وتحقيقاً لذلك رسمت الشريعة خطوطاً أمام الحاكم يرقبها فى سيره ولا يتخطاها ويراقبها المحكمون وإذا خرج عليها فلهم حق عزله تحت مبدأ وأن أحكم بما أنزل الله.

عن عبد الله بن عمر -رضى الله عنهما- أن النبى «ص» قال: «على المرء المسلم الطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصيته، فمن أمر بمعصية فلا طاعة».

الدعامة الثانية: على مسئوليةالحاكم عن أخطائه فالمسئولية فى الإسلام لا تتناول المحكوم من دون الحاكم ولا الحاكم من دون المحكوم وقد بينا حديث رسول الله ﷺ «كلكم را ع وكلكم مسئول عن رعيته».

أما الدعامة الثالثة: فهى إعطاء الأمة حق عزل الحاكم وهى نتيجة منطقية لأن مهمة الحاكم كما تبين مهمة إشرافية وقيادية تلتزم بالشريعة وحدودها وقد أوضحنا قول الرسول ﷺ: «فمن أمر بمعصية فلا طاعة» كما جاء ذلك

فى أقوال الخلفاء الراشدين وقال أبو بكر -رضى الله عنه-: «أطيعونى ما أطعت الله فيكم فإن عصيت فلا طاعة لى عليكم».. وهو تطبيق عملى لحديث الرسول ﷺ السابق ذكره.

وقد حث الإسلام على عدم الجبن إزاء ظلم وخروج الحاكم وعظم قدر النطق بكلمة الحق، كما جاء فى حديث الرسول ﷺ«أفضل الجهاد كلمة حق عن سلطان جائر».

نقول الكلمة

٥- مبدأ الديموقراطية

إن الاستبداد السياسى من أول اسباب الشلل الفكرى وفيه تموت المواهب النفسية.. والحاجة إلى الاستقرار النفسى كالحاجة إلى القوت يقول تعالى «رب اجعل هذا بلداً أمنا وارزق أهله من الثمرات» ويقول جل شأنه «الذى اطعمهم من جوع وأمنهم من خوف»

وقد قدم رسول الله ﷺ أروع مثلاً للديموقراطية.. وقدم خير نموذج للرد على الذين يدعون أن الحرية هى التى تسبب التطرف فالإسلام عاش ازهى عصوره فى عهد الحرية وانتشر فى عهد الحرية ولكم أن تتخيلوا الاعرابى الذى جذب الرسول ﷺ من ملابسه بشده وغلظه وهو يقول «اعطنى يامحمد من مال المسلمين، فالمال مال الله وليس مال أبيك» فهل نجد حرية أكثر من ذلك؟.. وهل نجد مثل سماحه الرسول الذى أمر بأعطائه مايريد.. فالحرية لا تولد التطرف أنما الديكتاتورية والفساد هما سببا الفكر المنحرف..

أما عن «رئاسه» الأمة فأن السيرة تؤكد على أن الرسول ﷺ لم يعين خليفه والسكوت هنا متروك لاجتهاد البشر فكان ما كان من أختلاف المسلمين فى سقيفه بنى ساعده حتى أستقر الأمر لأبى بكر وهو ما يستنتج

أن السلطة أصبحت عمليا تستمد من المبادئ وتقوم على رضاء الأمة وقدم الرسول القدوة فى حق المواطنه لغير المسلمين وفى صحيفة المدينة التى وجهها الرسول ﷺ إلى أهل المدينة خير مثال فقد حدد فيها أسلوب التعامل فيها بينهم ويقول «هذه الوثيقة تجعل غير المسلمين المقيمين فى دولة المدينة مواطنين فيها لهم من الحقوق مثل ما للمسلمين» ويورد عهد الرسول ﷺ إلى أهل نجران ونقرأ: ولنجران وحاشيتها جوار الله، وذمه محمد النبى رسول الله أموالهم وانفسهم وارضهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم..»

على جانب آخر نشير أنه من البديه أن مصطلح الديموقراطية لم يكن إسلامياً أو عربياً وهو مصطلح أصله يونانى معروف.. ولكننا نتناول أسس الديموقراطية من حكم الشعب بنفسه والمساواه القانونية واطلاق الحريات فاننا سنجد تطبيقها فى الاسلام وتحت رأية رسول الله ﷺ فى صورة أرفع وأسمى.. ولعل بعد إيضاح مبادىء المساواه والشورى وتقييد سلطة الحاكم تكون قد أتضحت أسس كثيرة من دعائم الديموقراطية الحقيقية.

فمدلول كلمة الشعب فى منظور الديموقراطية يرتبط بالفكرة القومية بينما فى منظور الإسلام أوسع من ذلك بكثير بحيث يضم من نطق بالشهادتين بالأضافة إلى أهل الذمة من غير المسلمين.

وللأمة اختيار حاكمها وتراقبه وتحاسبه.. ولها سلطات واسعة فى اختيار الخليفة والرسول ﷺ يقول «لا تجتمع أمتى على ضلال» وهنا نضيف أن الأمة فى الأسلام مقيده بعدم مخالفة نصاً قطعياً فى الكتاب والسنة مع ملحوظة أن الحاكم لايمارس سلطاته نيابه عن الله تعالى وانما نيابة عن الأمة وأنه لا سياده لفرد أو لطبقه من الطبقات على الأمة كما نشير إيضاً

إلى الملحوظات الآتية:

١-أن هذه الحقوق والحريات التى تتغنى بها الديمقراطية قد عرفها المسلمون وطبقها الرسول ﷺ منذ ما يقرب من خمسة عشر قرناً.

٢-ولا يفوتنا أن الفكر البشرى قد تطرف فى إقرار هذه الحقوق تطرفاً واضحاً، ولا تزال آثار هذا التطرف واضحة فى المجتمعات الديمقراطية، بينما جاءت الشريعة الإسلامية بنظام متكامل فيه إقرار لهذه الحقوق والحريات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ووسائل حمايتها والحفاظ عليها فى ثوب أخلاقى دونما إفراط أو تفريط.

٣-وإذا كان الفكر الديمقراطى قد نجح فى بلورة هذه الحقوق والنص عليها فى إعلانات الحقوق ومقدمات الدساتير، فإن الإسلام قد تجاوز هذا الحد فعدها من الواجبات التى لا يجوز للفرد ولا للجماعة التنازل عنها أو السماح بالنيل منها.

٤- إن هذه الحقوق والحريات تستند مباشرة إلى الشرع الإسلامى فتستمد قوتها من قوته وخلودها من خلوده وقدسيتها من قدسيته، فلا يملك أحد كائناً من كان المساس بها إلا إذا نال من شريعة الإسلام ذاتها.

٥- إن هذه الحقوق لا يكتفى الإسلام بإقرارها من وجهة نظرية عامة بل يعضدها بما فى تفصيلات الشريعة مما يتعلق بالحقوق ويقرر لها صفة الالتزام.

وخلاصة هذه النتائج أن الإسلام بإقراره للحقوق والحريات قد تجاوز إلى حد بعيد ما قررته الديمقراطية فى العصر الحديث، فما زالت هذه الأنظمة تخوض فى بركة لا أخلاقية فى إقرارها لهذه الحقوق، حتى صار الشواذ يؤثرون فى القرار السياسى فى بعض البلاد، وهنا نود أن نشير إلى

الذين يحاكمون مبادىء وأسس الديمقراطية فى الإسلام متخذين رموزاً خاطئة من الحكام مثلما حدث من الحجاج بن يوسف أو فى بعض النظم فى بعض الدول الإسلامية فإنما نقول إن العيب فى الاشخاص وليس فى المبادىء والأسس التى قررها الإسلام وقدم أسوتها الرسول ﷺ.

وعن التطبيق فى الوقت الحالى فقد سئل د. يوسف القرضاوى عن كيفية اشتراك حزب إسلامى مثل حزب «الرفاه» فى تركيا فى حكم علمانى ديمقراطى فأجاب: إن الحكم هناك يجب أن يبنى على (فقه الموازنات) فإذا وجد أن مصلحة الإسلام والمسلمين تقتضى الاشتراك جاز ذلك.

فالغريب أن بعض الناس يحكم على الديمقراطية بأنها منكر صراح، أو كفر بواح، وهو لم يعرفها معرفة جيدة، تنفذ إلى جوهرها، وتخلص إلى لبابها، بغض النظر عن الصورة والعنوان.

ومن القواعد المقررة لدى علمائنا السابقين: أن الحكم على الشىء فرع عن تصوره، فمن حكم على شىء يجهله فحكمه خاطىء، وإن صادف الصواب اعتباطا، لأنها رمية من غير رام، لهذا ثبت في الحديث أن القاضى الذى يقضى على جهل فى النار، كالذى عرف الحق وقضى بغيره.

فهل الديمقراطية التى تتنادى بها شعوب العالم، والتى تكافح من أجلها جماهيرُ غفيرة في الشرق والغرب، والتى وصلت إليها بعض الشعوب بعد صراع مرير مع الطغاة، أريقت فيه دماء، وسقط فيه ضحايا بالألوف، بل بالملايين، كما فى أوربا الشرقية وغيرها، والتى يرى فيها كثير من الإسلاميين الوسيلة المقبولة لكبح جماح الحكم الفردى، وتقليم أظفار التسلط السياسى، الذى ابتليت به شعوبنا العربية والمسلمة، هل هذه الديمقراطية منكر أو كفر كما يردد بعض السطحيين المتعجلين؟؟

إن جوهر الديمقراطية -بعيدا عن التعريفات والمصطلحات الأكاديمية- أن يختار الناس من يحكمهم ويسوس أمرهم، وألا يفرض عليهم حاكم يكرهونه، أو نظام يكرهونه، وأن يكون لهم حق محاسبة الحاكم إذا أخطأ، وحق عزله وتغييره إذا انحرف، وألا يساق الناس -رغم أنوفهم- إلى اتجاهات أو مناهج اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية أو سياسية لا يعرفونها ولا يرضون عنها. فإذا عارضها بعضهم كان جزاؤه التشريد والتنكيل، بل التعذيب والتقتيل.

هذا هو جوهر الديمقراطية الحقيقية التي وجدت البشرية لها صيغا وأساليب عملية، مثل الانتخاب والاستفتاء العام، وترجيح حكم الأكثرية، وتعدد الأحزاب السياسية، وحق الأقلية في المعارضة، وحرية الصحافة، واستقلال القضاء... إلخ؟

وهل الديمقراطية -في جوهرها الذي ذكرناه- تنافي الإسلام؟! ومن أين تأتي هذه المنافاة؟ وأي دليل من محكمات الكتاب والسنة يدل على هذه الدعوى؟!

الواقع أن الذي يتأمل جوهر الديمقراطية يجد أنه من صميم الإسلام، فهو ينكر أن يؤم الناس في الصلاة من يكرهونه، ولا يرضون عنه، وفي الحديث: «ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرا ..» وذكر أولهم: «رجل أم قوما وهم له كارهون.. وإذا كان هذا في الصلاة فكيف في أمور الحياة السياسية؟ وفي الحديث الصحيح: «خيار أئمتكم -أي حكامكم-: الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم -أي تدعون لهم- ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم: الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم».

لقد شن القرآن حملة في غاية القوة على الحكام المتألهين في الأرض،

الذين يتخذون عباد الله عبادا لهم، مثل «نمرود» الذى ذكر القرآن موقفه من إبراهيم وموقف إبراهيم منه: «ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين» (البقرة: ٢٥٨).

فهذا الطاغية يزعم أنه يحيى ويميت، كما أن رب إبراهيم -وهو رب العالمين- يحيى ويميت، فيجب أن يدين الناس له، كما يدينون لرب إبراهيم!

وبلغ من جرأته في دعوى الإحياء والإماتة: أن جاء برجلين من عرض الطريق، وحكم عليهما بالإعدام بلا جريرة ونفذ فى أحدهما ذلك فورا، وقال: ها قد أمته، وعفا عن الآخر، وقال: ها قد أحييته! ألست بهذا أحيى وأميت؟!

ومثله «فرعون» الذى نادى فى قومه «أنا ربكم الأعلى (النازعات: ٢٤)، وقال في تبجح: «يأيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى» (القصص:٣٨).

وقد كشف القرآن عن تحالف دنس بين أطراف ثلاثة خبيثة:

الأول: الحاكم المتأله المتجبر فى بلاد الله، المتسلط على عباد الله، ويمثله (فرعون).

والثانى: السياسى الوصولى، الذى يسخر ذكاءه وخبرته فى خدمة الطاغية، وتثبيت حكمه، وترويض شعبه للخضوع له ويمثله (هامان).

والثالث: الرأسمالى أو الإقطاعى المستفيد من حكم الطاغية، فهو يؤيده ببذل بعض ماله، ليكسب أموالا أكثر من عرق الشعب ودمه، ويمثله (قارون).

ولقد ذكر القرآن هذا الثالوث المتحالف على الإثم والعدوان، ووقوفه في وجه رسالة موسى، حتى أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر: «ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب»

(غافر: ٢٣-٢٤).

«وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسي بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين» (العنكبوت: ٣٩).

والعجيب أن قارون كان من قوم موسي ولم يكن من قوم فرعون ولكنه بغى على قومه، وانضم إلى عدوهم فرعون، وقبله فرعون معه، دلالة على أن المصالح المادية هي التى جمعت بينهما، برغم اختلاف عروقهما وأنسابهما.

٦- المعارضة فى الإسلام

لقد وجد فى حديث الرسول (ﷺ) ما يدل دلالة واضحة على اعتراف الإسلام بحق معارضة الحكام إذا استبدوا وخرجوا عن النموذج الإسلامى الأمثل المحدد بالقرآن والسنة ومن ذلك الحديث «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» رواه مسلم عن أبى سعيد الخدرى. وقد عرف الإسلام فى ذلك المعارضة الكامنة وهى معارضة القلب. فاضمار المعارضة للمنكر فى القلب هو تعبير عن حالة ترقب وانتظار لفقدان القدرة والاستطاعة باليد واللسان وهذا فى حد ذاته يشكل طاقة كامنة للتعبير يمكن أن تبزغ فجأة إذا وجدت الاستطاعة وفى نفس الوقت يعتبر قوة روحية حامية من السقوط فى المنكر ذاته وأخيراً أن الشورى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما السندان والقناتان الشرعيتان اللتان من خلالهما تمارس المعارضة سواء فى عملية انتقال السلطة أو الرقابة عليها.

أولا-معارضة الرأى:

(أ) إذا كان هدف المعارضة الطعن فى شخص الخليفة لتفسير خاص بمسلكه فإن الخلفاء الراشدين ما كانوا يتبرمون من ذلك فالقى على عثمان

الحصى وهو يخطب. ورمى على بالكفر وصيح على عمر بن الخطاب بخصوص طول ثوبه ولكنهم اهتدوا بحديث النبى ﷺ «الحاكم العادل يستمع إلى المقالة ولايتبرم لشكلها». وهنا نشير إلى عدم تكفير المعارضين.. فالصحابى الجليل سعد بن عبادة وسيد الخزرج لم يبايعا أبا بكر ولا الفاروق عمر ولم يقل أحد أنه كافراً أومنافق.

(ب) إذا كان الرأى يدع إلى بدعة لايعرفها االإسلام وتتنافى مع الشريعة فإن الحديث الشريف يقول: «كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار». وإذا كان من تئول واجتهاد، فإن التسامح كان هو السائد فقد ناظر على بن أبى طالب، قوم الجبرية فى عصره وجادل عمر بن العزيز الخوارج.

وهنا نود أن نشير إلى أن للمجتمع الإسلامى شخصية إنسانية عامة وشخصية خاصة.. وفى الشخصية العامة عليه أن يفكر فيما يلائم عصره فقد ترك الله هذا الجانب للتفكير البشرى ولعل هذا المقصود بقوله ﷺ «أنتم أعلم بشئون دنياكم» وفى هذا الإطار كانت مشروعات عمر بن الخطاب فى تنظيم الدولة.. وعلينا سباق الأمم فى الابتكار والاختراع بما يحقق المجد والعزة..

أما الشخصية الخاصة للمجتمع الإسلامى فهى التى تحدد دائرتها العقيدة والعبادة وأصول المحرمات وهى الشخصية التى لا تقبل الابتداع فى هذا يقول الرسول ﷺ «من أحدث فى ديننا ما ليس منه فهو رد أى مردود على صاحبه غير مقبول».

(ج) أن يكون الرأى هو الشورى وهو أمر محمود لأن الشورى من أسس الإسلام والشورى لاتعتبر معارضة لأن الرأى فيها للاستهداء والتشاور، وقد أوضحنا كثير من أحاديث الرسول ﷺ فى هذا المجال.

ثانياً-جرائم الفعل:

(أ) هذه إما أن تقع على فرد وتسمى (بالجرائم السياسية الأحادية أو الصغرى) كالإعتداء على الحاكم تخلصا من حكمه، أو لنزعة سياسية تخالفه ولم تأخذ وصفا يزيد به الحكم عن الجريمة العادية فالإعتداء هو الإعتداء دون النظر إلى الباعث أو الباطن وكونه سياسي أو غير سياسى فلما قتل عمر رضى الله عنه وقتل على كرم الله وجهه لم ينظر لهذه الجرائم إلا باعتبارها جريمة قتل عادية رغم صفتها السياسية. بل إن على بن أبى طالب قال فى قاتله «إن عشت فأنا ولى دمى -وإن مت فضربة كضربتى ولاتخوروا فى دماء الناس بدمى».

(ب) وإما أن تقع على المجموع وتسمى (الجريمة السياسة الكبرى) وفيها تكون قوة تخرج على سلطان الإمام وهو ما يعرف (بالبغى) اصطلاحا واستخدام (لفظ) بغى فى الكتاب وفى السنة لقول الرسول ﷺ لعمار بن ياسر «تقتلك الفئة الباغية» ولايعتبر مجرد المخالفة لرأى الإمام أو عدم طاعته بغيا «بل يجب الخروج القوى الذى يعتمد على دليل ويستند لقوة وجموع». ولكن الفقهاء اختلفوا فى وقت قتالهم أو متى يبدأ بقتالهم؟ واختلفوا فى شرط كون الخروج على الإمام يشترط لمعاقبتهم وقتالهم أن يكون هذا الإمام عادلا.

إما إذا كان القتال لأجل المنازعة والحصول على الرئاسة دون أى أساس من العدل فإن هذا الخروج يعتبر محاربة ويطبق حكم أية «الحرابة» فإذا كان القتال صادر من طائفتين لعصبيه أو طلب رئاسة كان لكل حكم الباغى.

وأخيراً لعله من البديهى أن الإسلام لا يمنع حق معارضة النصوص

القطعية فى كتاب الله وسنة الرسول ﷺ ولكنه يمنح معارضة من يتعدى على تلك الحدود.

والنبى الكريم يذكرنا بما ينتظر المجتمعات التى يفشو فيها المنكر وتسكت عه فيقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب»، كما يقول:ﷺ «لايحقرن أحدكم أن يرى أمرا فيه مقال فلا يقول فيه. فيقال له يوم القيامة ما منعك أن تكون قلت كذا وكذا، فيقول: مخافة الناس، فيقول الله عز وجل فاياى أحق أن تخاف. ويقول ﷺ «الساكت عن الحق شيطان أخرس».

التكافل الاجتماعى فى الإسلام

إذا كان الحديث عن حقوق الإنسان فلابد من الإشارة إلى التكافل الاجتماعى فى الإسلام، وإذا رجعنا إلى النصوص الشرعية نجد أن الجانب الاجتماعي قد أخذ مكانته وأهميته بعد العقيدة مباشرة فى كثير منها، ومنها قوله تعالى: «أرأيت الذى يكذب بالدين، فذلك الذى يدع اليتيم، ولا يحض على طعام المسكين».

إن هذه الآيات الكريمة تقرر أن الذى يزجر اليتيم وينهره، ويهمل المسكين الذى أذلته الحاجة وعضه الفقر والبؤس هو إنسان مكذب بلقاء الله وحسابه وجزائه، ولو كان مؤمنا لاندفع بقلب مليء بالرحمة حريص على النجاة من عذاب الله وغضبه، فأكرم اليتيم، وأعطى المحتاج مما أنعم الله به عليه.

ومنها قول النبى ﷺ فى حديث أبى موسى رضى الله عنه: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا».

لقد اعتبر الإسلام المجتمع جسدا واحدا، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، لقوله -صلى الله عليه وسلم-: «مثل المؤمنين فى تعاطفهم، وتراحمهم، وتوادهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى».. لأن المجتمع الإسلامى مجتمع معنوى، تبنى فيه العلاقات الاجتماعية على الترابط والتكافل فى جميع نواحى الحياة، دون أن يظلم أحد أحدا، أو يستغله فى أمر من الأمور، بل يربط الجميع برباط الأخوة والمحبة والمودة والألفة.

والتكافل الاجتماعى فى الإسلام له مظاهر متنوعة منها:

١- المظاهر الأدبية:

التكافل الأدبي هو إحساس المسلم نحو أخيه المسلم بمشاعر المحبة والمودة والرحمة. قال الله تعالى: «إنما المؤمنون إخوة»، وقال الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». والمحبة المطلوبة هي التي تكون في الله، لقول الرسول ﷺ: « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان...» وذكر منها: «أن يحب المرء لا يحبه إلا لله». وتتمثل هذه المحبة في سلامة الصدر ونقائه من أمراض النفس كالحسد والغل تجاه الإخوة المسلمين، وتقوم على التضحية والإيثار، وتهدف إلى التغلب على النفس، ولا يكون ذلك إلا بالتعاون مع الآخرين في أعمال البر والتقوى، لذلك جاء الإسلام وجعل التعاون ركنا من أركان التكافل الاجتماعي، ونادى به.

إن المجتمع هو سلسلة ذات حلقات متداخلة، وأولى هذه الحلقات هي الأفراد والأسر، لذلك يجب عليهم أن يعيشوا متعاونين مع بعضهم البعض، وكل يقوم بمسئوليته المحددة كما ورد في حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته».

أما بقية الحلقات فهي المجتمع العام، وقد عنى الإسلام بإقامته على قواعد متينة من التعاطف، والتراحم، والمودة، والمساواة في الحقوق والواجبات، والتنسيق بين الجهود في سبيل الصالح العام والخاص. قال تعالى: «إنما المؤمنون إخوة». وهذا ما اتضح جليا في واقع المجتمع الإسلامي الأول الذي بناه الرسول -صلى الله عليه وسلم- في المدينة المنورة حينما آخى بين المهاجرين والأنصار.

لقد عاش كل منهم مطمئن البال بعد أن شعر بكفالة مجتمعه كله له.

وبين النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث أخر ما تتطلبه الأخوة الإسلامية من الحقوق، فقال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما، ستره الله يوم القيامة».

٢- المظاهر المعاشية:

التكافل المعاشى هو إلزام المجتمع برعاية الفقراء والمساكين والمرضى، لقد دعا الإسلام إلى تنمية روح الأخوة والمحبة، والمودة والألفة بين أفراد المجتمع المسلم، ليكونوا أسرة واحدة، قائمة على أساس التعاون على الخير.

ولدعم هذا المبدأ العظيم حارب الإسلام الفقر الذى كان الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يتعوذ منه فيقول: «اللهم إنى أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة، وأعوذ بك من أن أظلم أو أظلم» بوسائل عديدة منها:

١-العمل:

إن كل فرد فى المجتمع المسلم مطالب بأن يعمل ليكسب رزقه، ومأمور بأن يمشى فى مناكب الأرض، ويأكل من رزق الله، قال تعالى: «هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور». ويقصد من العمل: كل جهد واع يقوم به الإنسان -وحده أو غيره- لإنتاج سلعة أو خدمة.

لقد اعتبر الإسلام العمل الذى يبتغى به صاحبه إعفاف نفسه وإعالة أهله نوعا من أنواع العبادات التى يتقرب بها العبد إلى ربه، وذلك ليحارب أولئك

الكسالى المتقاعسين ولو بحجة التفرغ للعبادة، فلا رهبانية فى الإسلام.

قال ﷺ: «ما من مسلم يزرع زرعا، أو يغرس غرسا، فيأكل منه طير، أو إنسان، أو بهيمة إلا كان له به صدقة». وفى رواية: «ما أكل أحد طعاما قط خير من أن يأكل من عمل يده»، وفى رواية: «اليد العليا خير من اليد السفلى».

وزيادة على ذلك حارب التسول بشتى أنواعه، ومدح المتعففين فقال تعالى: «للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، تعرفهم بسيماهم، لا يسألون الناس إلحافا، وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم».

وقال الرسول ﷺ: «والذى نفسى بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتى رجلا فيسأله، أعطاه أو منعه».

٢-كفالة المحتاجين:

ونقصد بالمحتاجين الذين عجزوا عن العمل وكسب الرزق، والأرامل اللاتي فقدن المعيل، والصبيان الصغار والشيوخ الهرمين، والمرضى المقعدين، وغيرهم.. وكما قلنا فإن أفراد المجتمع هم أسرة واحدة تتضامن وتتكافل مع بعضها البعض، فيحمل القوى الضعيف، ويكفل الغنى الفقير.

وأهم وسائل الكفالة الزكاة التي جعلها الله عز وجل أحد أركان هذا الدين، عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا». وجعلها الله مع التوبة من الشرك ومع إقامة الصلاة عنوان الدخول فى دين الإسلام، واستحقاق أخوة المسلمين، قال تعالى: «فإن تابوا وأقاموا الصلاة وأتوا

الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم».. وتأتى بعد ذلك الصدقات التى تنفق فى سبيل الله. قال تعالى: «مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم».

وقال ﷺ: «الصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفى الماء النار».

ولم تقتصر هذه الكفالة على الأفراد فحسب، بل لقد أوجبها الإسلام على الدولة أيضا، فلابد من كفالتها لأفرادها ومساعدتهم من بيت المال الذى يمول من زكاة أموال أغنيائه، وغنائم الحروب وإيرادات صناعاته وتجاراته، وغيرها. قال تعالى: «واعلموا أنما غنمتم من شىء فإن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل»، وقال رسول الله ﷺ: «أنا أولى بكل مسلم من نفسه، من ترك مالا فلورثته، ومن ترك دينا أو ضياعا (أى أولادا صغارا ضائعين إذ لا مال لهم) فإلىّ وعلىّ».

التكافل فى ضروريات وركائز الحياة:

هناك من الموارد الهامة لحاجات الإنسان والتى تعد من ركائز الضروريات والتى يجب ألا يستأثر بها أحد لحاجة الناس جميعًا إليها.

يقول الرسول ﷺ: «الناس شركاء فى ثلاث: الماء والكلأ والنار»، ومن منطلق هذا الحديث الشريف الجامع المانع، قليل الألفاظ كثير المعانى.. لكل إنسان حق الاستفادة من هذه الموارد الطبيعية والأساسية لحاجة الناس جميعًا إليها، وقد قرر الفقهاء أنه لا يجوز أن يستأثر بها إنسان دون بقية الناس.

قدوة الرسول ﷺ فى الحياة الاجتماعية

١- النبى ﷺ أباً:

كان ﷺ مثلاً أعلى فى أبوته، فلم تقف هذه الأبوة عندما ألف الناس من حب أولاده ورعايتهم.

ولم تنحصر فى نطاق الأسرة، بل امتدت إلى الأهل والعشيرة، وإلى أبناء الأمة كلها، وإلى الطفل فى كل زمان ومكان.

وكان ﷺ يحب أن يكون له ولد، وقد ظل يذكر لزوجته «خديجة» أم المؤمنين أن الله رزقه الولد منها.

وكان شديد الحب لأبنائه وبناته، شديد الرعاية لهم، معنياً بتنشئتهم على أكرم السجايا.

وامتد حبه إلى ولدى ابنته «فاطمة»: الحسن والحسين، فكان يجلس فى بيتها، ويضع «الحسن» على فخذه الأيمن، و«الحسين» على فخذه الأيسر، وقبل هذا مرة وهذا مرة..

وقد اتسع حنو قلبه الكبير لكل ابن من أبناء المسلمين، ومن هذه العاطفة الكريمة النبيلة كان رفقه باليتيم الذى أفقد أباه، ومن قوله فى ذلك: (أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين) مشيراً بإصبعيه السبابة والوسطى.

٢- النبى زوجاً:

أن الرسول ﷺ رغم أنه كان يحمل هموم الدنيا والدولة، إلا أنه كان يهتم بأل بيته وزوجاته وكانت له لمحات إنسانية معهن فكان عطوفاً عليهن وقد بلغ

من تدليله ص لزوجاته أن حرم على نفسه بعض المباحثات إرضاء لهن، حتى نزل قوله تعالى: «يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك».

كان ﷺ خير مثل للزوج، يصدر فى معاملته لزوجاته عن إنسانية رحيمة، ومعرفة بصيرة بطبيعة المرأة، وما يدور فى نفسها، وعدالة تصل إلى أقصى ما يستطيع الإنسان أن يعدل فيه.

– كان له زوجات عدة، ولكنه كان يحترم كل زوجة ويقدرها، ويعدل بينها وبين غيرها من نسائه.

– وقد يرى أحيانا مالا يحب من إحداهن.. فى كلمة أو طعام أو نحوهما، فلا يتأفف ولا يتضجر ولا ينبس بكلمة نابية، وإنما يلقاهن بوجه سمح باش، وفى غاية من التلطف.. وكان يشاركهن الحديث والمزاح العف، والابتسامة العذبة، حتى يملأ نفوسهن رضا ومسرة.

وكان يساعدهن فى أعمال البيت، ولا يترفع عن خدمة نفسه، فكان ﷺ يخيط ثيابه ويخصف نعله، حتى لا يثقل عليهن. وهو فى كلما يأتى وما يدع، وفى جده مزاحه–لايسمح لإحداهن أن تتناول الأخرى فى شىء.

– وبلغ من وفائه للسيدة «خديجة» بعد وفاتها أنه كان لا يقبل كلمة تمسها من إحدى زوجاته، وأنه كان يعطف على كل صديقاتها، ويذبح الشاة فيهدى إليهن منها، وهكذا كانت معاملته ﷺ فى بيته مثلاً يحتذى، وقدوة لكل زوج ولكل أسرة تحرص أن ترفرف عليها السعادة والطمأنينة.

٣– النبى ﷺ إنساناً:

كان النبى ﷺ إنساناً، يحب الناس، ويعتز بهم، يقرب أصحابه، ويعطف عليهم، ويجاملهم، فيسأل عن الغائب، ويزور المريض، ويشاركهم فى

أفراحهم وأحزانهم، ويقدم العون لمن يحتاج إليه، وكان يشفق بضعفائهم، ويذم المتكبر والمترفع على أحدهم.

ومن مظاهر تقديره لأصحابه: أنه لم يكن يفعل شيئاً حتى يستشيرهم. وكان كثير الاستشارة لأبى بكر وعمر بن الخطاب وغيرهما من كبار الصحابة، وكان يقول لهم:

(أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم).

وكان حريصاً على إعدادهم للقيادة والاستفادة من مواهبهم وتنميتها، فكان يعرف كل واحد منهم، ويعرف طاقته، ومدى ما يستطيع أن يقدمه من العطاء، وكان يضع الواحد منهم الموضع الذى يصلح له، وكان يدربهم على القيادة فى الجيش، ويرسل منهم الدعاة إلى الأقاليم.. إلخ.

كان ﷺ إنساناً مع أصحابه وغير أصحابه، كان إنساناً مع الناس كافة.. حتى مع خدمه.

يقول أنس بن مالم رضى الله عنه:- خدمته نحواً من عشر سنين فوالله ما صاحبته فى حضر ولا سفر ولا خدمة إلا كانت خدمته لى أكثر من خدمتى له وما قال لى أف قط.

ونحن نعرض للآداب التى حثنا عليها الرسول ﷺ مع الخلق وهو ما يولد الحب والإيثار وكافة المعانى السامية والتى لو عملنا بها لكان خير نموذج لحقوق الإنسان ولأنتهت كثير من المشكلات والمنازعات التى يعانيها المجتمع.

فى الآدب مع الخلق:-

الوالدان أكدا الرسول ﷺ على بر الوالدين وهناك أحاديث عديدة حث فيها على هذا العمل الطيب ومنها قوله «ص» للرجل الذى سأله قائلاً: «من أحق الناس بحسن صحبتى؟ قال أمك قال ثم من؟ قال أمك قال ثم من؟ قال

أمك قال ثم من؟ قال أبوك».

– وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه «سألت النبى ﷺ: «أى العمل أحب إلى الله تعالى قال بر الوالدين قلت ثم أى قال الجهاد فى سبيل الله».

الأبناء: حث الرسول ﷺ على البر بالأبناء كى ينهى عن عادة الجاهلين فى وأد البنات، وقال ﷺ لما سئل عن أعظم الذنوب قال: «أن تجعل الله نداً وهو خلقك أو تقتل ولدك خشية أن يطعم معك وتزنى بحليلة جارك. إن الله حرم عليكم العقوق والأمهات ومنع وأد البنات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال.

كما أمر الإسلام بعدم التفرقة بين الأبناء فعن الرسول ﷺ أنه قال: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم» كما أمر بالإنفاق عليهم وجعل منزلته من منزلة الجهاد يقول النبى ﷺ: «أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله ودينار ينفقه على دابته فى سبيل الله ودينار ينفقه على أصحابه فى سبيل الله» وبذلك جمع بين الإنفاق على الأسرة والأولاد والإنفاق على الجهاد فى سبيل الله.

الأخوة: رأى ﷺ أن الأدب مع الأخوة كالأدب مع الآباء والأبناء يقول ﷺ: «أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك».

الأقارب: حث النبى ﷺ على صلة الرحم ومودة الأقارب يقول ﷺ: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلنى وصلته، ومن قطعنى قطعه الله».

الجيران: حث الرسول ﷺ على الإنسان إلى الجار، وحث على عدم أزيته فلا يؤذى جاره، ويقول ﷺ «والله لا يؤمن والله لا يؤمن فقيل له من هو يا رسول الله.. قال: الذى لا يؤمن جاره بوائقه».

الأصدقاء: أوصى الرسول ﷺ خيراً فى الأخوة الصادقة وحث على التعاون والايثار والحب فى الله ولعل ماحدث بين المهاجرين والأنصار من إيثار حتى كان يقول الواحد من الأنصار لأخيه المهاجر: «هذا مالى وهذه دارى خذ ما أحببت وأنظر إلى زوجات وإن كانت إحداهن أحب إليك أطلقها حتى تنكحها».

يقول ﷺ «ما اصطحب اثنان قط إلا كان أحبهما إلى الله أرفقهما بصاحبه».

«وقد رأينا أن نزيد من العرض الخاص بهذا الموضوع.. وأن نتناوله مضحين الرد على الافتراءات التى تتناول المرأة، حيث إنه موضوع تثار فيه كثير من الأقاويل الباطلة والاتهامات الظالمة حول حقوقها فى الإسلام، ومن هنا فنحن نعرض لهذا الموضوع بشيء به بعض التفاصيل».

تزعم بعض المؤسسات المعادية للإسلام والمسلمين.. أن المرأة المسلمة لم تحصل على حقوقها فما الرد على هذا الافتراء؟

تعنى الشريعة الإسلامية وأحكامها عناية بالغة بالمرأة.. فالزواج فى الشريعة هو أحد الحقوق العامة أو الحريات العامة للإنسان سواء أكان رجل أو امرأة.. والزواج فى الإسلام هو الأساس الوحيد لتكوين الأسرة.. وتوجد أدلة متعددة فى الشريعة الإسلامية تؤكد أن الإسلام أعطى المرأة كل حقوقها حيث بينت شريعة الإسلام حقوق وواجبات كل من الزوجين تجاه الآخر.. الآخر فللزوجة على زوجها حق المهر وحق الانفاق عليها وكسوتها واسكانها بالصورة اللائقة.. ولم تترك شريعة الإسلام حتى حق الاتصال الجنسى بين الزوجين بدون ضوابط بل جعلت له آدابا لا بد من الالتزام بها منها وجوب التستر ومنع افشاء الأسرار وعدم الاتصال حال الحيض أو النفاس وغير ذلك مما وردت بشأنه العديد من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة.

لقد رفع الإسلام مكانة المرأة وأعطاها حقوقا تسمو بمكانتها وتؤكد انسانيتها وتعلى من قدرها فلها على والديها حق التربية.. وكفل لها الإسلام حقها فى اختيار زوجها.. ولها الحق فى حضانة أولادها عند فراق زوجها

بالوفاة أو الطلاق.. ولها الحق فى أن ترث زوجها إذا مات قبلها وأن ترث كذلك أباها وأمها أو غيرهما من أقاربها.. ومن حقوقها أيضا ابداء الرأى فى المسائل العامة بجانب حقها فى ابداء رأيها فى مسائلها الخاصة.. كما أن حقها مكفول فى طلب العلم والتملك وأن يكون لها ذمتها المالية المستقلة.. فكيف بعد كل هذا الذى تقدم تجد المؤسسات المعادية للإسلام والمسلمين آذانا صاغية؟ فالشريعة الإسلامية الغراء بمرونتها وحفاظها على كل الحقوق صانت حقوق المرأة المسلمة.

لقد كانت المرأة مظلومة فى الجاهلية إلى أن جاء الإسلام فقال تعالى « المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» وفى مدرسة الرسولﷺ ومن قدوته تعلمن النساء وشاركن فى تأسيس دعائم الدولة الإسلامية واستمر تقدم المرأة فى أعظم نموذج لتحريرها.. نموذج المساواه بين الشقين المتكاملين وليس كما هو فى الغرب الذى حولها إلى رجل متشبهه بالرجال فخسرت الكثير لأن الفطرة ميزت بينهما، بينما صادف ذلك فى بعض البلاد الإسلامية نموذجان سيئان أولهما انبهر بالغرب وقلده فكان ممسوخا والآخر متشدد فشوه نظرة الإسلام الحقيقية للمرأة وتحريرها وتكريمها يقول الله سبحانة وتعالى «هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا» ومن هنا نجد أن الأصل فى الأشياء هو الإباحة ولا تحريم إلا بنص قاطع.. وقد قدم الرسول ﷺ الكثير من البيان.. ولكننا نجد البعض أولعوا بالتحريم ويتبعون منهجا يخالف منهج النبى ﷺ الذى ما خير بين أمرين إلا واختار أيسرهما ما لم يكن إثما وقد قالﷺ «لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم، فإن قوما شددوا على نفسهم فشدد عليهم» فحياة الرسولﷺكانت قائمة على الاعتدال.. وللمرأة مكانه

سمى بها الإسلام وما كان للمرأة هذا الإمتداد فى شخصيتها من قبل وإن كان الأمر قد سار فى اتجاه أخر غلبة للتقاليد القديمة لا انسياقا مع تعاليم الإسلام السامية.

هناك كثير من النماذج التى يحفل بها التاريخ الإسلامى والتى اثبتت أن الإسلام أكرم المرأة فضربت أروع الأمثلة فى الوفاء والعطاء والعلم وعلى رأس هذه النماذج السيده خديجة وهى أول من أسلم وأمن بالرسول وبذلك كان أول من أمن بالإسلام إمرأة.. واستمرت الأمة الإسلامية لفترة فى شخص السيدة خديجة فكانت المنقذ له، ودعمته دعما ماديا ومعنويا فياضا.. لذلك اطلق الرسول ﷺ عام الحزن على العام الذى توفيت فيه السيده خديجة وعمه أبو طالب لأنه افتقد الكثير بفقدهما أهمها الحماية والدعم.

وهناك السيده عائشة التى أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن نأخذ نصف ديننا منها.

وهناك أسماء بنت أبى بكر (ذات النطاقين) وكانت تحمل الزاد للرسول وأبى بكر فى غار ثور وهناك الخنساء التى قدمت أربعة من أولادها، فلذات أكبادها، وحمدت الله على استشهادهم فى سبيل نصر الدين الإسلامى، وهناك سمية أم عمار بن ياسر أول شهيده فى الإسلام وكانت فى طليعة الشهداء فى سبيل الدعوة الإسلامية.

وهناك غيرهن كثيرات تعلمن فى مدرسة الرسول الكريم ﷺ.

لا رهبانية فى الإسلام:-

جعل الله أمة محمد ﷺ «أمة وسطاً» وفى هذا الصدد يقول المعصوم ﷺ «بعثت بالملة السمحة الحنيفية البيضاء» فرفع الإسلام العنت الذى كان

على الأمم السابقة تحتم مثل القصاص حتى فى الخطأ وقتل النفس فى التوبة. وغيرها وهذا الفضل من الله تبارك وتعالى اكراماً لنبينا ﷺ».

إن الإسلام لم يطلب قطع الشهوة والغضب من النفس ولا محو آثارهما كلية فهذا ليس فى مقدور أكثر البشر إنما طلب أن يكون الأمر وسط فلا نزيد الشهوة حتى تصل إلى حد الفسوق ولا تنقص إلى حد الجمود وقد جاء فى صحيح البخارى عن أنس رضى الله عنه أنه قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادته فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: «وأين نحن من النبى ﷺ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

قال أحدهم: أما أنا فإنى أصلى الليل أبداً- وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج فجاء ص فقال: «أنتم قلتم كذا وكذا أما والله إنى لأخشاكم الله وأتقاكم له ولكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى»».

الخطبة: حث الرسول ﷺ على النظر إلى المخطوبة.. ومن ذلك.. عن المغيرة بن شعبة: إنه خطب امرأة فقال له الرسول ﷺ: «أنظرت إليها؟! فقال لا. قال: «أنظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما» وليس هذا الحكم قاصر على الرجل، بل هو ثابت للمرأة أيضاً.. وأعطى الإسلام للأنثى. كامل الحق فى اختيار شريك حياتها بكامل رضاها لأنها التى ستعايشه وليسوا هم، وفى هذا يقول ﷺ: «البكر تستأذن واذنها صماتها، والأيم (الثيب) تعرب عن نفسها كما روى أن فتاة أتت النبى ﷺ فقالت له: إن أبى زوجنى من ابن أخيه ليرفع بى خسيسته، وإنى له لكارهة فجعل رسول الله ﷺ الخيار إليها -بين أن تبقى على هذا الزواج أو ترفضه- فلما خيرها رسول الله ﷺ قالت يا رسول الله، قد أجزت ما صنع أبى ولكنى أردت أن يعلم

الآباء أن ليس لهم من هذا الأمر شيء... والآباء بما لهم من خبرةفى الحياة يكون لهم حق النصح والتوجيه فهم أبعد نظراً عادة، ولا يميلون مع الهوى، ولكن ليس لهم حق الإجبار على تزويج بناتهم ممن لا يردن.

وقد راعى الإسلام الكفاءة بين الزوجين فى النواحى المختلفة.. ورغبة فى حسن المعاشرة حث على أن يكون شريك أو شريكة الحياة من أصحاب الخلق والدين، فقد قال الرسول ﷺ: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إن لم تفعلوا يكن فتنة فى الأرض وفساداً كبيراً».

وقال ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك».

وقال ﷺ: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة»، وهناك عشرات الأحاديث فى هذا المعنى.

النكاح

صان الإسلام مكانة المرأة فى النكاح فنهى عن نكاح المتعة وهو النكاح إلى أجل مسمى وذلك للحديث المتفق عليه عن على رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر.

الزوجان:

الحقوق المشتركة بين الزوجين

هناك حقوق مشتركة بين الزوجين منها المودة تحقيقا لقولة تعالى «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة»، وتحقيقا لقول: الرسول ﷺ «من لا يرحَم لا يرُحم» أيضا الأمانة وكذلك الثقة المتبادلة بينهما والإخلاص لقوله تعالى «إنما المؤمنون إخوة» وقول الرسول ﷺ«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» كذلك

الآداب العامة من دقه فى المعاملة وطلاقة وجه وكرم قول والمعاشرة بالمعروف التى أمر الله بها فى قوله: «وعاشروهن بالمعروف» والاستبقاء بالخير الذى أمر به الرسول ﷺ فى قوله: «واستوصوا بالنساء خيرا».

حقوق الزوج على الزوجة: أما الحقوق المختصة للزوج على الزوجة فعلى رأسها الطاعة، وصيانة العرض يقول ﷺ «المرأة راعية على بيت زوجها وولده» وعن أبى امامه رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرا له من زوجة صالحة أن أمرها أطاعته وأن نظر إليها سرته، وأن اقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وماله»

حقوق الزوجة على الزوج:

أن يعاشرها بالمعروف ولها كل حقوق الحياة الكريمة ونفقتها يقول الرسول ﷺ للذى قال له ما حق زوجه أحدنا عليه؟ فقال إن تطعمهما إن طعمت وتكسوها إن اكتسيت، ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا فى البيت وقوله الا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن وقوله ﷺ لا يفرك مؤمن مؤمنة -أى لا يبغضها إن كره منها خلقا رضى أخر» كما يجب عليه ألا يفشى سرها وألا يذكر عيبا فيها لقوله: ﷺ «إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر سرها.

العصمة فى يد الرجل

الطلاق:

إذا كان الإسلام اعطى للرجل حق الطلاق فلأنه أحرص من المرأة على بقاء الزوجة ولو جعل الإسلام الطلاق بيد المرأة لخربت الحياة الزوجية وما

لتستقر لها قرار لأن المرأة مفطورة على التسرع وتأثرها وانفعالها واندفاعها وعدم تدبر العواقب فى أمر يتحمل غرمه غيرها وهو الزوج.

التطليق للضرر غير المتحمل:

يظن بعض الجهلاء أن الإسلام بجعلة العصمة فى يد الرجل قد اخر بالمرأة ومنعها حقها وأجبرها على المعيشة فى كره بينما الإسلام لم يحجر على المرأة بل جعل فى إمكانها طلب الطلاق أمام القاضى لو تضررت ضررا بالغا لا تسطيع الحياة فى ظله ويتبين أمرها فإن ثبت صحته حكم بتطليقها.

عدم الحرمان من طفلها:

لعل أكثر ما يكون لقلب المطلقة عدم حرمانها من طفلها وحصولها على حضانته.

وقد ثبت أن النبى ﷺ قضى للمطلقة بحقها فى حضانة ولدها ما لم تتزوج فقد روى أحمد وأبو دواود والحاكم عن عبد الله بن عمرو أن امرأة قالت: يا رسول الله إن ابنى هذا كانت بطنى له وعاء وثديى له سقاء وحجرى له حواء وأن اباه طلقنى واراد أن ينزعة منى فقال ﷺ «أنت أحق به مالم تنكحى».

الاختلاط بالرجال

وضع الإسلام شروط لزى المرأة واختلاطها وحرم كل مايخدش الحياء والعرض. فبالنسبة للملبس أوجب الإسلام أن يكون ما ترتديه ساتراً للجسد ماعدا الوجه والكفين وإلا يكون شفافاً ولا خليعاً ولا لافتاً للنظر قال الرسول ﷺ «لابنته يا فاطمة: إذا بلغت البنت الحلم لا يُرى منها إلا هذا (وأشار إلى وجهه) وهذين وأشار إلى الكفين».

أما بالنسبة للاختلاط فشخصية المرأة المسلمة تتسم بالحياء والجدية والاستقامة والإيمان، وقد حرم الإسلام الخلوة بين الرجل والمرأة فعن عامر بن ربيعة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا يخلون رجل بامرأة لا تحل له، فإن ثالثهما الشيطان إلا محرم».

كما نهى الإسلام عن تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ المخنثين من الرجال والمرجلات من النساء» وفى رواية: «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال».. ومن البديهى أن التشبه فى الحركات والسلوك السيء المنهى عنه أشد سوءًا من التشبه فى الزى.

فحقوق المرأة فى الاختلاط حددها الإسلام وليس من حقوقها الاختلاط بما يشيعه الغرب من حفلات الرقص وغيرها وإذا كان الإسلام قد طلب من المرأة الاحتشام فلأن أسباب الفتنة عندها أكبر.

العلم والعمل ومشاركة المرأة فى أمور المجتمع:

خروج المرأة لتلقى العلم أو للعمل لم يمنعه الدين الإسلامى بل حض عليه ولكن مع تعاليم الاحتشام والإلتزام والموائمة.. فعن تعليم المرأة جاء فى حديث رسول الله ﷺ «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة».. كما أن الرسول ﷺ «علم حفصة بنت عمر القراءة والكتابة بعد أن تزوجها».

وعن العمل وقضاء الحاجة ورد فى حديث رسول الله ﷺ « قد أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن» وفى هذا رخصة وتيسير إسلامى.. ولا نعرف لماذا يتخيل البعض أن العمل قاصراً على العمل فى مجالات أقرب للمنافاه الأخلاقية والاحتشام المطلوب فيمكن للمرأة العمل تبعا للموائمة مع حاجة الأسرة.. سواء صادف ذلك فى عمل بمكتب أو تدريس أو طب أو حتى عمل

يدوى بالمنزل كأشغال المنسوجات وغيرها على أن تراعى رسالتها الأولى وهى اعطاء أولادها التربية والرعاية والحنان وازوجها حقوقه.

مشاركة المرأة السياسية:

ساهمت المرأة فى إقامة الدولة الإسلامية وكان مع النبى ﷺ فى صلح الحديبية ٧٥ من المسلمين بينهم إمرأة فيما يكن تسميته «الجمعية التأسيسية» لإقامة الدولة الإسلامية الأولى.. وهذه مشاركة سياسية. أيضا كان الرسول ﷺ يسمح للنساء بابداء أرائهن وأخذ بمشورتهن كما حدث مع أم سلمة فى يوم الحديبية.

مشاركة المرأة فى الحروب:

كانت سمية أم عمار بن ياسر أول شهيده فى الإسلام وكانت فى طليعة الشهداء فى سبيل الدعوة الإسلامية. كما شاركت أسماء بنت أبى بكر زوجة الزبير فى الحروب فقتلت تسعة من المشركين فى أحداها، وربت ابنها عبد الله على الشجاعة وعندما استشهد فى إحدى الحروب شيعته ودفنته وتوفيت بعدها.. كما كانت المرأة تشارك -فى عهد رسول الله ﷺ - فى مداواة الجنود المصابين أو نقل الزاد.. وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما إلى يزيد بن هرمز كيف تسألنى هل كان رسول الله ﷺ يغزو بالنساء؟ وقد كان يغزو بهن، فيداوين الجرحى ويلذين -أى يعطين- من الغنيمة.

الذمة المالية للمرأة:

كما جعل الإسلام للمرأة ذمة مالية مستقلة تماما عن الذمة المالية للزوج فلها كامل التصرف فى ممتلكاتها وليس لأحد من زوجها أو ابيها أو اخيها أو غيرهم أن يتصرف فى أموالها أو يأخذ منها شيئا إلا برضاها التام وبدون ضغط أو احراج بل عن طيب نفس كامل يقول الله تعالى: «فإن طبن

لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا».

وقد طالب رسول الله ﷺ بنصيب من الغنائم للنساء.. وعن أم عطية قالت: كنا نغزو مع رسول الله ﷺ فنداوي الجرحى، ونمرض المرضى، وكان يرضخ لنا من الغنيمة.

هكذا جعل الإسلام للمرأة ذمة مالية مستقله. لذلك تعلمت المرأة كيف تستثمر أموالها فالعالم الغربي رغم ما يدعيه بتحرير المرأة إلا أن قوانينه تقول غير ذلك ففي سنة ١٩٠٣ أرسلت امرأة للإمام محمد عبده «تستفتيه في رفض دولة فرنسا السماح لها بالتصرف في أسهم تمتلكها في هيئة قناة السويس حيث يمنع القانون الفرنسي المرأة من التصرف في أموالها أنذاك. فكان الرد بأن من حقها أن تتصرف في أموالها كما تشاء.

تعددالزوجات:-

يعيب خصوم الإسلام تعدد الزوجات ويعتبرونه إهدارا لحقوقهن الإنسانية.

ووضع الإسلام شروطا لتعدد الزوجات وأهمها القدرة على الإنفاق والعدل بينهن. فتعدد الزوجات في الإسلام مقيد بشروط شديده تكاد تجعله ملغيا والأسباب قد تكون شخصية مثل عدم الإنجاب أو مرض الزوجة أو استحالة الحياة معها لسوء سلوكها أو لأسباب أخرى، وقد تكون اجتماعية كزيادة عدد النساء عن الرجال في حالة الحروب.. وهنا يسمح بالزواج بأكثر من واحدة حتى لا تحدث فتنه.. وغير ذلك فتعدد الزوجات حق غير مطلق للرجال.

وقد أكد ذلك الرسول الكريم ﷺ في حديث شريف فقال: «لعن الله الزواقين» وهم الذين يريدون مجرد الزواج بأكثر من امرأة للاستمتاع فقط

والتغيير، واعتبره نوعا من الحيوانية المرفوضة يهبط بكرامة الإنسان وخروجا عن الفطرة يقول تعالى فى كتابه الكريم: «ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم» وهذا دليل على أن العدل بين الزوجات مستحيل وقد كان الرسول ﷺ يوجه دعاءه لله ويقول: «لقد قسمت بين نسائى بالعدل فيما أملك فلا تؤاخذنى فيما لا أملك» ويقصد هنا القلب.

وقد أقر الرسول ﷺ لها بالعدل إن كان لزوجها نساء غيرها لقوله ﷺ «من كان له امرأتان يميل لأحداهما عن الأخرى جاء يوم القيامة يجر أحد شقيه حافظا أو مائلا».

وفى هذا المجال نود أن نرد على أعداء الإسلام وافتراءاتهم بالقول إن الرسول ﷺ كان مزواجا.

إن النبى ﷺ لم تتعدد زوجاته إلا بعد سن الخمسين أى فى سن الشيخوخة وبعد زوال ثورة السباب والشهوة، ولو كان كذلك لما تزوج السيدة خديجة وهو فى سن الخامسة والعشرين وهى فى سن الأربعين أى أكبر منه بخمسة عشر عاما..

فلم يكن زواج الرسول ﷺ رغبة منه فى الزواج، ولكن بأمر من الله، وللمحافظة على شرف ونسب من فقدن أزواجهن من عية القوم أو لغاية دينية ورد عنها ذكر فى القرآن الكريم.. وكيف يكون ذلك وهو الذى رباه واجتباه لدعوته؟!

ميراث المرأة:

إن قضية ميراث المرأة التى يحاول البعض اثارتها لاظهار التفرقة بين الرجل والمرأة، هناك حالات ترث فيها المرأة أكثر من الرجل فالبنت ترث أكثر من جدها فى تركة والدها، والبنت ترث أكثر من الأم، والبنتان ترثان

ثلثى التركة ويرث باقى الورثة الذكور الثلث.

فهناك ٢٤ حالة ترث فيها المرأة أكثر من الرجل.

فالارث تحدده قواعد ثلاثه أولا: موقع الجيل من المورث ثانيا: درجة القرابة ثالثا: العبء المالى الذى يتحمله الوارث.

ومن ناحية أن للذكر مثل الانثيين فبالفطرة جعل الله تعالى عبء الانفاق على الرجل لأنه المسئول عن الأسرة.

روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه: «أن امرأة سعد ابن الربيع جاءت إلى الرسول ﷺ بابنتيها من سعد فقالت: يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع، قتل أبوهما معك فى أحد شهيدا وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ولا ينكحان إلا ولهما مال فقال رسول الله ﷺ يقضى الله فى ذلك فنزلت آيات المواريث بسورة النساء فأرسل ص إلى عمهما فقال: اعط ابنتى سعد الثلثين وأمهما الثمن وما بقى فهو لك»

وقد قضى الرسول ﷺ بحالات كثيرة تنطبق فيها استحقاق المرأة بنصيب أكبر فى الميراث.. ومن هذا سئل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن قضية ميراث، الورثة فيها هنا بنت وبنت ابن واخت فقال: اقضى فيها بما قضى رسول الله ﷺ للبنت النصف ولبنت الابن السدس تكمله للثلثين وما بقى فهو للأخت.

وقد كان قبل ذلك يستولى الرجال على كل الميراث وكانت البنات تؤد عقب ولادتها!!

شهادة المراتين بشهادة الرجل

جاء الإسلام فكرم المرأة، وجعل لها ذمة مالية مستقلة، وحاسبها على تصرفها كما يحاسب الرجال، سواء أكان فى الخير أم الشر، فقال سبحانه

وتعالى: «فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض». فالذكر والأنثى متساويان فى كل شىء من حقوق وواجبات.

أما ما يقال عن عدم انصاف المرأة فى الشهادة على الحقوق حين جعل الإسلام شهادتهما على النصف من شهادة الرجل فذلك من الأمور التى يتجنى من لا يعرفون الإسلام على حقيقته، أو يعادونه فى هذا الأمر، لأن الآية الكريمة التى جعلت شهادة المرأتين تعدل شهادة رجل واحد ذكرت السبب الذى دعا إلى ذلك وهو سبب لا ينتقص من قيمة المرأة ولا كرامتها، وإنما يرجع إلى فطرتها وظروف حياتها وحالتها النفسية والمرضية والعادة الشهرية فتؤثر فى نفسيتها وأعصابها، ، وبالتالى تأثير هذا فى استيعابها للأمور التى يمكن أن تنسى بعضها، فمن أجل ألا يكلفها الله تعالى ما لا تطيق. ومن أجل ألا نطالبها بالتذكر الكامل لتفاصيل الشهادة التى يجب أن تؤديها كاملة كان من رحمة الله بها أنه ضم إليها امرأة أخرى تذكرها إذا نسيت وترشدها إلى الحقيقة إذا غابت عنها، فتكون الاثنتان متعاونتين فى أداء الشهادة على وجهها الصحيح، وحتى تكون الحقوق مصونة وتؤدى إلى أصحابها كاملة تماما.

ولهذا نجد الآية الكريمة التى ذكرت أن شهادة المرأتين تعدل شهادة الرجل فإنها تبين السبب فى ذلك فيقول تعالى: «واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى، ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا».

فالله تعالى يبين فى هذه الآية أن الشاهد لابد أن يكون مرضيا عنه كما فى قوله تعالى: «ممن ترضون من الشهداء» يستوى فى ذلك الرجل والمرأة

فلا شهادة لفاسق ولا كاذب ولا مجنون ولا صبى لا يميز سواء أكان ذكرا أم أنثى حتى إذا جاء إلى شهادة المرأة حيث علم الله سبحانه بتكوين جسدها وما ينتابها من أعراض الحيض والنفاس والحمل والولادة، وما يترتب على ذلك من ضعف، وهو الذى ذكرته آية أخرى بقوله تعالى: «حملته أمه وهناً على وهن» أى ضعفا على ضعف.

وهذه العوارض لا توجد عند الرجل، ومن هنا كانت الرحمة أن تضم امرأة أخرى معها فى الشهادة لتذكرها وتكملها وتوثقها حتى لا تقع فى خطأ عاقبته الندم الشديد عندما يتعذر إصلاح الخطأ، وليس فى هذه الإضافة امتهان للمرأة أو تقليل من كرامتها أو أنها أدنى مكانة من الرجل. والآيات الكريمة نطقت بالتساوى التام بين الرجل والمرأة فى المحاسبة على الأفعال فكما جاء فى قوله تعالى: «إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما».

ان الله يقرن فى الأعمال بين الذكر والأنثى، فالمساواة واضحة تماما، فهنا نجد فى اعتبار تصرفاتها جميع أمور الحياة.

يضاف إلى ذلك أن طبيعة المرأة عدم الاحتكاك بالمشكلات مثل الرجل.. وعلى الجانب الآخر نجد أن هناك أمور يعتد بها بشهادة النساء أكثر من الرجال مثل الأمور التى تتعلق بالحمل وغيرها من مثل هذه الشئونو بل وكثيراً من هذه الأمور يعتبر بشهادة المرأة وحدها وهذا تأكيد أنه ليس معنى مكانه شهادة الرجل هو الانحياز، ولكن ذلك لأنه لا توجد امرأة قد يكون لديها من العلم والفهم والخبرة ما يؤهلها إلى أن تضبط الأمور ضبطا دقيقا وأن تتصرف فيها تصرفا حكيما، وقد يكون هناك من الرجال من لا

يستطيع أن يصل إلى هذا المستوى، ولكن التشريع إنما يعتمد على الأحوال العامة السائدة دون نظر إلى الاستثناءات والفلتات التى لا تحدث إلا نادرا، والله عز وجل عليم بعبادة وما يصلح حياتهم وبما يحفظ الحقوق فى جميع الأزمان والظروف المتغيرة مع مراعاة تفاوت الناس فى علمهم وفهمهم وذكائهم.

زواج المسلم بغير المسلمة وعدم زواج المسلمة بغير مسلم:

أجمع العلماء على أنه لا يحل للمسلمة أن تتزوج غير المسلم، سواء أكانت مشركة أو من أهل الكتاب وحكمه ذلك أن للرجل حق القوامه على زوجته وأن عليها طاعته فيما يأمرها به من معروف أى أن له ولايه وسلطان عليها.. أما الزوج الكافر فلا يعترف بدين المسلمة، بل يكذب بكتابها، ويجحد رسالة نبيها، ولا يمكن لبيت أن يستقر ولا لحياة أن تستمر مع هذا الخلاف الكبير وعلى العكس من ذلك المسلم إذا تزوج بكتابية، فأنه يعترف بدينها ويجعل الإيمان بكتابها وبنبيها جزءا لا يتم إيمانه إلا به «آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحدا من رسله»

طبيعة المرأة:

يتهم أعداء الإسلام بأنه ينتقص من مكانة المرأة فى بعض الأوصاف منها: أنهن ناقصات عقل ودين: يتهم أعداء الإسلام أيضا هذا القول بأنه انتقاص من مكانة المرأة وهذا الوصف لا يعتبر سبا بل هو إقرار لحقيقة حيث إنه من المعروف أن «للدورة الشهرية» تأثير على أعصاب المرأة وهو بالطبع ما يؤثر على التفكير.. فى هذه الفترة.. كما أنه يرفع عنها بعض العبادات مثل الصلاة وتأجيل الصوم وهو التفسير الصحيح لنقص أداء الواجبات فى هذه

الفترة.. وقد قدر هذا كله الله جل شأنه.. وهذا لا ينتقص من مكانتها الفكرية والدينية كما أوضحنا في مواضع أخرى.

خلقت من ضلع أعوج.. يقول أعداء الإسلام عن القول بأن المرأة خلقت من ضلع أعوج هو انتقاص من قدرها، ونحن نقول: بداية أن معنى كلمة الأعوجاج ليس الانحراف عن الاستقامة فحسب، بل هو الانحراف عن الاستقامة المطلوبة.

ولنوضح لذلك بمثل.. هب أنك رأيت «سنارة» مستقيمة فهل تصلح لصيد الأسماك؟! وما وصفك لها في هذه الحالة؟ ، إذن الاعوجاج الصالح للمهمة هو أفضل من الاستقامة الضارة بالمهمة.. فالضلع الأعوج صالح لمهمته في حماية أجهزة الصدر ولو كان مستقيما لضغط على تلك الأجهزة وأضر بها.. أليس كذلك؟!قوامة الرجل على المرأة .. يتهم الأعداء الإسلام بتمييز الرجل على المرأة ويستشهدون بالآية الكريمة «الرجال قوامون على النساء» (الآية ٣٤، سورة النساء) ورغم مابيناه فيما أعطاه الإسلام للمرأة من حقوق لم يعطها أحدا به إجابة كافية، إضافة إلى منح الثواب على قدر العمل دون تفضيل.. «إني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى»

وإذا تأملنا الآية الكريمة فنجد أنها تعني أن الرجال أهل قيام على نسائهم في الأخذ على أيديهن فيما يجب عليهن لله ولأنفسهم، فالقوامون فعل مبالغة للقائم.. أي القائم على الأسباب والمسئول عنها ويكاد من شدة المسئولية أن يكون قائما واقفا على أهبة الأستعداد لتنفيذ الأمر.. فالقوامة تضفي مسئولية على الرجل ولا تضفي ميزة فهو مسئول عن المهر والنفقة وكفاية المؤونة والشقاء من أجلها ومن أجل الأسرة والانفاق عليها «وبما انفقوا من أموالهم» وفي تكمله قراءة الآية الكريمة نجد ما يحفظ كيان

الأسرة «فالصالحات قانتات حافظات للغيب» أى النساء المستقيمات العاملات بالخير مطيعات وحافظات للأزواج فى المال والعرض.. ولعل هذا ما يميز الأسرة المسلمة عن الأسرة الغربية التى تكاد أن تكون فيها الأركان منعدمة والكيان مشتتا ومن هنا نجد الكوارث الاجتماعية والإنسانية فى الغرب حتى ولو حاولوا تغطية هذه الكارثة بالزعم بالتفوق السياسى أو الاقتصادى فالإسلام وضع مناهج لمزيد من التفوق فى كافة المجالات مع الاحتفاظ بالكيان الإنسانى فى الوقت ذاته.

ختان الأنثى

أثارت العديد من الجمعيات النسائية مسألة ختان الأنثى وارتباطها بالاعتداء على حقوق الإنسان.. وإن كنا نرى أن المسألة أهون من هذا الحجم الذى أثير به الموضوع حتى بات واضحا أنه هجوم على الإسلام تحت ستار حقوق الإنسان!

وقد كنا نتمنى أن يشغل عضوات تلك الجمعيات النسائية انفسهن بموضوعات أكثر أهمية ومنها: محو الأمية والتى هى السب الأول فى التخلف كما أنها سببا أيضا فى مسألة الخلط بين بعض العادات والدين إذ ما صادقت شعبا به نسبة عالية من الأمية، وهناك أيضا ظاهرة اتجاه السيدات للإدمان أو على الأقل تدخين المرأة وتأثير ذلك على الأجنة وتشوه المواليد الأبرياء وهو خطر أكثر ألف مرة من خطر الختان!.. ولعل إذا قادت تلك الجمعيات النسائية موضوع مثل إضرار تدخين السيدات فسوف يحقق نجاحا كبيرا لأن معظم هؤلاء «العضوات» يدخن السجائر وفى هذه الحالة سوف يتطلب منهن القدوة.. ومن المعروف أن للقدوة تأثير كبير!!

أما عن مسألة ختان الأنثى فقد أفتى كثير من العلماء بأن المرجع

للأطباء لضعف الأحاديث الواردة فى هذا الشأن ونختار من بين تلك الفتاوى فتوى الشيخ محمود شلتوت والتى خلص فيها! من استعراض المرويات فى مسألة الختان على أنه ليس فيها ما يصح أن يكون دليلا على «السنة الفقهية»، وأن كلمة «سنة» التى جاءت فى بعض المرويات معناها -إذ صحت- الطريقة المألوفة عند القوم فى ذلك الوقت، والذى أراه أن حكم الشرع فى الختان لا يخضع لنص منقول، وإنما يخضع فى الذكر والأنثى لقاعدة شرعية عامة: وهى أن إيلام الحى لا يجوز شرعا إلا لمصالح تعود عليه، وتربو على الألم الذى يلحقه.

وفى ضوء ذلك الأصل نجده فى الذكر غيره فى الإناث، فهو فيهم ذو مصلحة تربو بكثير عن الألم الذى يلحقهم بسببه، ذاك أن داخل «الغلفة» منبت خصيب لتكوين الإفرازات التى تؤدى إلى تعفن تغلب معه جراثيم تهىء للإصابة بالسرطان أو غيره من الأمراض الفتاكة. ومن هنا، يكون الختان طريقا وقائيا يحفظ للإنسان حياته.. ومثل هذا يأخذ فى نظر الشرع حكم الوجوب والتحتيم.

أما الأنثى فليس لختانها هذا الجانب الوقائى. أما ما يتحدث به بعض الأطباء من «إشعال الغريزة الجنسية وضعفها» فيرى بعضهم أن ترك الختان يشعل تلك الغريزة، وبها تندفع إلى مالا ينبغى، وإذن، يجب الختان وقاية للشرف والعرض. ويرى آخرون أن الختان يضعفها فيحتاج الرجل إلى استعانة بمواد تفسد عليه حياته. وإذن، يجب تركه حفظا لصحة الرجل العقلية والبدنية.

ولعلى لا أكون مسرفا أيضا إذا قلت: ما أشبه إسراف الأطباء فى وجهات نظرهم إسراف الفقهاء فى أدلة مذاهبهم، فإن الغريزة الجنسية لا

تتبع فى قوتها أو ضعفها ختان الأنثى أو عدمه، وإنما تتبع البنية والغدد قوة وضعفا، ونشاطا وخمولا.. والانزلاق إلى مالا ينبغى كثيرا ما يحدث للمختونات كما هو مشاهد ومقروء من حوادث الجنايات العرضية. والذين يتناولون المواد الضارة إنما يتناولونها بحكم الألف الواصل إليهم من البيئات الفاسدة، وليس ما يحسونه فى جانب الغريزة إلا وهما خيله لهم تخدير الأعصاب.. والواقع أن المسألة فى جانبيها «الايجابى والسلبى» ترجع إلى الخلق والبيئة وإحسان التربية وحزم المراقبة.

زى المرآة

من وقت إلى آخر تتحول الآراء حول الحجاب والنقاب إلى أشبه بالثورة وكثيرا ما يغلب تلك الآراء الشطط.. ومسألة الحجاب والنقاب هى من مسائل الاختلاف فى آراء الفقهاء ولكل منهم دليله فمؤيدى الحجاب يستندون إلى حديث النبى > إلى ابنته فاطمة والذى قال فيه: يا فاطمة إذا بلغت الفتاة الحلم لايُرى منها إلا هذا وأشار إلى «وجهه» وهذين وأشار إلى «الكفين».. والفريق الآخر يستند إلى تفسير آيات سورة النور.

ونحن نرى أن فى الاختلاف رحمة.. ونستريح إلي رأى د. نصر فريد واصل مفتى الجمهورية بأن الحجاب فريضة إسلامية يجب أن تلتزم بها كل مسلمة وأن ارتداء النقاب ام مشروع ولا يجب أن تجبر على خلعه ولكن ارتداء النقاب ليس واجبا ويجب أن ترفضه المنقبة عند طلب السلطات المختصة بذلك سواء فى الجامعات أو المصالح الحكومية للتعرف عليها ومن هذا فإن الحجاب فريضة ملزمة على كل مسلمة ولاخلاف على ذلك.

على جانب آخر إذا كان البعض يدافع عن صاحبات العرى بأنها حرية شخصية فقد كنا نود عدم الكيل بمكيالين وليعتبروا التزيد بالنقاب أيضا حرية شخصية.. أم أن الحرية الشخصية تقتصر على السفور؟!

حتى لا ننسى: عندما حاصر المسلمون فيينا!

عندما حاصر البطل المسلم محمد الفاتح مدينة فيينا، رفض تدميرها رغم أنه كان يملك المدافع التى تمكنه من تدميرها وتحقيق انتصار سريع وحاسم.

وقد جاء تأنى محمد الفاتح وتفضيل الحصار والانتظار على التخريب لتحقيق الانتصار حتى لا يقال إن المسلمين يدمرون الحضارات.

هذا هو الدرس الأساسى الذى يجب أن يعلمه الغرب -ومن الأولى أن نتعلمه نحن- وهناك دروس أخرى يلقنها نفس الحادث للعالم أجمع، فالمدفع -أول الأسلحة القوية -من اختراع مجرى مسلم.. كما أن فيينا التى حاصرها البطل المسلم تقع فى أوروبا.. بل إن الأبطال المسلمين وصلوا إلى مسافات قريبة من مدينة باريس عاصمة فرنسا..

ولكن علينا أن نقول ذلك للمبهورين بالغرب والذين يرون فيه كل ملاذ.. وعلينا أيضا أن نضع مثل هذه النماذج وتحليلاتها لأبنائنا التلاميذ فى دروس التاريخ والتربية الوطنية.. ولعل فى هذاتأكيد على أن الإسلام دين حضارة ورد على من يلصقون بالإسلام صفات الإرهاب السيئة.. فبحضارته وتحضره رفض التدمير وبالعلم وصل إلى أكبر المخترعات.. والعكس صحيح عندما تراجعت الحضارة سادت الهمجية وأصبح كل فريق يحارب أخاه.. وبتأخر العلم أصبح الغرب يسبقنا بكثير فى المخترعات السلمية والحربية..الخ

نعود إلى الدرس الأول الذى لقنه الفاتح الإسلامى -لعل البعض يتذكره!- فالحفاظ على الحضارات واجب وطنى وقومى، ومصر تضم شواهد كافة الحضارات على مر العصور.. بدءًا من دلائل وجود الإنسان الأول من خلال تحاليل العظام وبعض المواد إلى عصور

الفـراعنة وما تركـته من بصـمـات فى كافـة المجـالات إلى العصـر اليونانى الرومانـى فالنهضة الإسلامـية حتى مسرح أحـداث العصر الحديث.. ولعل كل حـقبه من الـتاريخ وعصوره الـمختلفـة تحمل لنا شواهد عديدة تدلل على قمة الإبداع والتميز..

ولكن ما يجرى الآن شىء آخـر.. فبدلا من الحفـاظ على حضارتنا لتكون نبراسا لنا نفـرط فيها.. وبدلا من التمـسك بالهوية إذا بنا نقلد الغرب فى كل شىء حـتى بما لا يتـلاءم مع طبيعـتنا وظروفنا.. ليس فى العادات والتصـرفات المتدنية فحسب بل حـتى فى أبسط الأشياء ومنها نمـاذج العمـارة.. فنجد العـمارات الزجاجـية الصـماء بدلا من الطرز التى تناسـبنا رغم أن الغـرب عندمـا اضطر لإنشـاء مـثل هذه «العلب» كان ذلك لأن الضوء فى بلاده ضعـيف والشمس غائبة معظم أيام السنة!.. وللأسى والأسف اكـتـفينا بنقـل مثل هذه الصـور ولم نسع لنقل مـا هو أهم من العلم والعمل الدؤوب، بل أخـذنا من مظاهر العمل الحصول على يومين إجازة كل أسبوع بدلا من يوم واحد!.

نعود ثانـية وثالثة إلى الدرس الذى لـقنه الفاتح الإسلامى لـلعالم أجمع -ونحن منهم- ونتساءل: مـتى نزهو ويتطلع العالم إلينا؟! متى نحـافظ على تراثنا وآثارنا وحـضـارتنا؟!.. مـتى نتـسـابق فى العلم والعمل؟!

إن أهم تأثير لدرس الحفـاظ على الحضارات هو قضيـة الانتماء.. فهى حـجر الأسـاس لكل نهضة.. فـهل لنا أن نفيق ونعـود إلى ديننا الحنيف والذى هو المنهل الفـياض لكل هذه المعـاني العظيمـة فنعود لأنفسنا؟!

خاتمة

لقد كانت نظرة الرسول ﷺ إلى حقوق الإنسان أثقب بصيره، وكان ﷺ خير أسوة فى الحفاظ على حقوق الإنسان ورعايتها وحمايتها وأمنها.. تلك الحقوق التى صنفها علماء الأصول تحت خمسة حرمات لابد من حياتها حتى تستقيم الحياة وهى: العقيدة والنفس والعقل والعرض والمال.. لقد أحاط الإسلام كل جنبات الإنسان بالرحمة ولك أن تتأمل فى أن القرآن الكريم تضمن ٣٣٩ آية ذكرت فيها كلمة الرحمة.

لقد حمى الإسلام أمن وحق العقيدة متمثلا فى قوله تعالى «لا إكراه فى الدين» أى عدم الإكراه فى الدين وكذلك الاعتراف بالديانات الأخرى حيث لا يكتمل إيمان المسلم إلا إذا صدق وأمن بكل الأنبياء.

وحفظ أمن وحق الحياة والنفس.. فلا يحل الاعتداء عليها إلا إذا قتل أو أفسد فى الأرض فسادا كبيرا يستوجب القتل وكانت جنبات طمأنينة النفس من الوفاء بالعهد كما قال الرسول ﷺ «لا دين لمن لا عهد له ولا إيمان لمن لا أمان له» فكانت رعاية الحقوق كما قال ص «كل المسلم على المسلم حرام.. دمه وماله وعرضه» وكما قال ﷺ «من فزع مؤمنا فليس منا»

وكان ضبط النفس وسماحة القلب والعفو كما قال ﷺ «من عفا رجل عن مظلمة إلا زادة الله بها عزا»

وكانت علاقات المودة والقربى كما قال ﷺ «ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويعطف على صغيرنا» وكان تطهير ضمائر المجتمع ومحاربه النفاق إلى آخر الصفات الحميده التى تطمئن النفس.

وحفظ أمن العقل.. فكانت الدعوة للتفكير فى آيات الله والتى قدم قدوتها الرسول ﷺ من قبل أن ينزل الوحى.. وكان مخاطبة العقل بما هو أهل له.. فتروى كتب السيرة عن إعرابى نطق بهذه الحقيقة بفطرته التى فطره الله عليها عندما سأله الناس: لما أمنت بمحمد؟

فقال لأن دينه لم يأمر بشيء وقال العقل ليته ما أمر.. وما نهى دينه عن شيء وقال العقل ليته ما نهى» وكان النهي عن كل ما يضر بالعقل ويعطله فكان تحريم المسكرات كما قال ﷺ «كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام»

وروت أم سلمة رضى الله عنها قالت: نهى الرسول ﷺ «عن كل مسكر ومفتر» والمفتر هنا هو كل ما يضعف الصحة.

وحفظ أمن العرض: قال ﷺ «إن لكل ملك حمى وحمى الله محارمه» وقال: «لم تظهر فاحشة فى قوم حتى يعلنوا بها إلا فشى فيهم الأوجاع التى لم تكن فى اسلافهم» وقال: «ما شاع الربا والزنا فى قرية إلا حلت بنفسها غضب الله» وصدق الله العظيم فى قوله جل شأنه «إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم»

وحفظ أمن المال وصيانته وتمثل ذلك فى تشديد عقوبات السرقة والاعتداء على الملكية الفردية وعلى أمن الجماعة وتحريم الاكتناز والربا والاحتكار والاهتمام بتوثيق الدين والحفاظ على مال الضعيف.. وفى ذلك كله أحاديث كثيرة ومنها قوله ﷺ «لعن الله الرشوه والراشى والمرتشى» وقوله: «من دخل فى شىء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقا على الله أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة» وقوله: «من غشنا فليس منا» وقوله حرام ما أخذ بسيف الحياء.

وحفظ حق الحرية وعلى رأسها حرية التعبير يقول ﷺ «الساكت عن الحق شيطان أخرس» وأعطى حق الجائع أن يطعم وحق المأوى وحق التعلم يقول ﷺ «ليس منا من بات شبعان وجاره جائع» تلك الحرية التى تقوم على دعائم أخلاقية وهى تختلف عن حرية الغرب فهناك يقدم المرء على الانتحار وقتما يشاء أو يعيش مع امرأة دون زواج أو ظاهرة الشذوذ والسحاق وهذا كله يتنافى مع جوهر الحرية

ونحن نرى كل يوم الانهيار الاجتماعى فى الغرب وفيمن يقلدونه حتى لو زعموا الازدهار السياسى والاقتصادى فكل هذه قشور بالنسبة لجوهر حياة الإنسان ورغم تلك المفارقات بين ممارسات الهدم الأخلاقى فى الغرب وارتقاء الإسلام ونظرته إلى صيانة كل جنبات حياة الإنسان وأمنه وعرضه وماله نجد حملات مشوهه تتصيد اسم حاكم أو نظام ليحاكموا به الإسلام والإسلام منه براء.

وحتى هذه الحقوق التى يزعمون الدفاع عنها يأتى الدفاع من أجل مصالح تلك الدول فقط ولو اقتضى ذلك انتهاك وإهدار حقوق الإنسان.

وقد أوضحنا كثير من المغالطات نذكر من بينها عقوبات قطع اليد فى السرقة رغم أن مثل تلك العقوبات لا تطبق إلا بشروط ولا تنطبق على السرقات التافهه ويزعمون الاعتداء على حرية وعقيدة الأخرين بينما القاعدة الأصولية «لهم مالنا وعليهم ما علينا»

ويتعجبون من قصر زواج المسلم على غير المسلمة وتحريم زواج المسلمة من غير المسلم بينما الحكمة واضحة فالمسلم لا يكتمل إيمانه إلا بالتصديق والإيمان بأنبياء الله ورسله «لا نفرق بين أحدا من رسله» بينما غير المسلم لا يعترف بالإسلام.. ومن هنا يؤتمن المسلم على غير المسلمة ولا يؤتمن غير المسلم على المسلمة، ويأخذون من مثل هذه الأمثال وغيرها مدخلا لقضية الزعم فى تفضيل الإسلام للرجل على المرأة بينما يؤكد القرآن الكريم -دستور الإسلام- فى مواضع عديده المساواه أمام الله وفى المسئوليه وفى الثواب ومنها قوله تعالى «إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما» وقوله تعالى

«والمـؤمنون والمؤمنات بعـضـهـم أولياء بعض يأمـرون بالمعـروف وينهون عن المنكـر ويقيمون الـصلاة ويؤتون الزكاه ويطيـعون الله ورسـوله أولئك يرحـمـهم الله إن اللـه عـزيز حكيم» وقـوله تعـالى «فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى»

إنهم يريدون تقليدهم فى هذا الاختـلاط المشين وتلك «المراقص» التى تنتهى بانهيار كيان الأسرة والمجتمع.

لقد سبق الإسـلام الغرب فى حقوق الإنسان بأكثـر من أحد عشر قرنا -هـذا مع «تحفظاتنا» على نظرة الغـرب إلى بعض هذه الحـقوق كمـا أوضحنا- فإعـلان مبادىء حـقوق الإنسان فى الغـرب جاء مع الحـملة الفرنسـية.. بينمـا يرتكز الإسـلام على ما بينه الرسـول ﷺ «تركـتم فـيكم ما أن تمـسكتم به لن تـضلوا بعدى أبدا.. كـتـاب الله وسنتى وانطـلاقـا من هذه المـبـادىء المنضـبطه كـان الحث على الاجتهاد لاستنباط الأحكام لمواجهـة المتغيرات فهناك أحداث تتوافق مع قول الرسول ﷺ «انتم أعلم بشئون دنياكم» وحثه لقادةالأمصار على الاجتهاد فى الأمور التى لم يقطع بها نص فى الكتاب والسنة.

إن رؤية الإسـلام لحـقـوق الإنسـان أشـمل وأكـبـر وفق رؤيتـه للإنسان كـمخلوقـا مكرما مسـتخلفا للـه فى الأرض.. ومن هنا كان حـرص الإسـلام على هذه الحـقـوق التى تمنـح الإنسـان الطمـأنينة فينطلق للإرتقاء ومن ثم فـإن أى انتقاص لتلك الحقوق يعـتبر عدوانا على الإنسانية.

ولقد كان الرسول ﷺ خيـر اسوة لتطبيق تلك الحقوق.. والتى لم تقتصـر رحمته على الإنسـان فقط.. انظر إلى رحمتـه بالحيوان وهو يتحدث عن امرأة دخلت النار لحبسهـا هرة لم تطعمها أو تتركها تأكل من خشاش الأرض وهو يتحدث عن رجل سقى كلب يلهث فشكر الله له.. وهو ينهى عن ضرب الحيوان على وجهه.. انظر إلى رحمته للطير

وقد أخذ صحابيا بعض افراخ الطير من تحت أمه فغضب الرسول ﷺ لذلك وامره أن يرد الأفـراخ إلى أمها حتى لا تفـزع تلك الأم فأين هذا كله ممـا يحدث للإنسـان وليس للحيـوان والطير من حـبس وضرب وتهديد الأطفال والأهل؟!

انظر إلى صـورة الطمـأنـينة فى أروع أثواب جـمـالهـا فى قـول الرسـول ﷺ وهو يبـشر المـشـائين فى الظلمـات أى الرجـال الذين يسيـرون فى جماعـات والنساء فى جماعـات عقب صلاة الفـجر فى المـساجـد.. وأين فى مـجتـمع تحيطه الـصحـراء الجرداء فـأى أمن يستطيع أن يبلغ مداه هذا فى أى مجتمع؟!

بوركت يا رسول الله وصـدقت يا رحمـة مهداه فى قـولك «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» وإذا كان منا من لم ير كل هذا القبس من النور فاللوم إذن على بـصره وبصيـرته وكل اللوم على مجتـمعـاتنا عندما ابتعـدت عن الأسوة الحسنة أسوة رسـول الله ﷺ والذى قال: تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى».

ولكن تبـدل الحال حـتى كاد أن ينـطبق علينا قوله الرسـول ﷺ: «يأتى على الناس زمـان المـتمـسك فيـه بسنتى عند اخـتلاف أمـتى كالقابض على الجمر».. وقـوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتـا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون» وكان علينا أن نتصدى للجاحدين الذين «يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كـره الكافـرون». «ان الله لا يغيـر ما بقـوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

المراجع

- مشكلات فى طريق الحياة الإسلامية .... الشيخ محمد الغزالى
- أزمة الفكر الإسلامى المعاصر ....د.محمد عماره
- الحلال والحرام..........................الشيخ محمد متولى الشعراوى
- الفتاوى ....الشيخ محمود شلتوت
- أحكام التركة والمواريث.........................د.يوسف قاسم
- فقه السنه...الشيخ سيد سابق
- الأمن فى ظل الإسلام....................... الشيخ عبد الحميد كشك
- زاد الميعاد..أبو بكر الجزائرى
- مختصر زاد الميعاد...............................الامام محمد عبد الوهاب
- جرائم الفكر والرأى والنشر..............................د.محسن فرج
- الإسلام والإنسان...إبراهيم عوضين
- كتب وزارة التعليم.. لجنة المناهج
- محمد ﷺ فى طيبة.. على زين العابدين
- ضد التأسلم...د.رفعت السعيد
- كرسى المعارضه...أشرف توفيق
- العقيدة أصولها التاريخية وأسسها الإسلامية ....د.جلاء إدريس

ملحوظة: استعنت بعشرات الكتب والمراجع الدينية وأقوال وأراء الفقهاء والكتاب والعلماء.. وبمقالات للعديدمن العلماء وفى مقدمتهم فضيلة: الشيخ محمد الغزالى - د. محمد عمارة- أ.فهمى هويدى- الشيخ الشعراوى- د.يوسف القرضاوى- الشيخ عبد اللطيف فايد- الشيخ إبراهيم الدسوقى- الشيخ دعيج بن حمد آل خليفة- الشيخ زكريا نور- د. أحمد كمال أبو المجد -د. نعمات فؤاد- د. أحمد الصاوى- أ.محمود مهدى- أ. عادل حسين.. اسأل الله أن يجزيهم كل خير. واسأل الله أن يكون قد وفقنى لما يحبه ويرضاه فى خدمة الدين وإعلاء كلمته.. إنه سميع مجيب الدعاء.. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



أبو المساحيق
رابسو
للغسالات الأوتوماتيكية
زال نظافة + بياض
رابسو يغسل بدون مجهود
نستابون
منظف سائل
لكافة الأغراض المنزلية
ذو فعالية عالية
• خميرة طازجة
"ماركة الهرمات"
• نشا الفراشه
صنع في مصر
الشركة المصرية للنشا والخميرة والمنظفات


جريدة
اللواء
الدولية
سياسية - اقتصادية - ثقافية
أسبوعية تصدر مؤقتا كل نصف شهر
رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير
عامر عيد

رقم الإيداع
٩٧/٢٦٢٣